



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد بوضياف - المسيلة -
كلية: العلوم الانسانية و الاجتماعية
قسم: الفلسفة



العنوان:

مفهوم النهضة في الفكر العربي الاسلامي الحديث الاتجاه الاصلاحى
- جمال الدين الافغانى أنموذجاً -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الاستاذ:

أرفيس علي

إعداد الطالبة:

طبيبي مريم

الموسم الجامعي: 2017/2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملاهداه

قال تعالى : (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا).

الاسراء: 24

الى التي أوصاني بها المولى عز وجل خيرا وبراً، الى التي حملتني وهنا على

وهن ، الى منبع الحب والحنان ، الى أمي الغالية ..

الى رمز العز والشموخ ، الى من وطأ لي الأشواك حافيا ليوصلني الى ما وصلت

اليه اليوم أبي الغالي أطل الله في عمره

الى زوجي الغالي الذي كان سندا لي في كل حياتي .

الى القدوة الحسنة والمرجع الامثل ..الى من تحملوا المصاعب والمتاعب من أجلي

إخوتي "مباركة محمد .نسرين .رونق. .أطل الله في أعمارهم.

الى عائلتي الثانية. فضيلة. مباركة .لامية

الى كل الأصدقاء من قريب أو بعيد والى زميلاتي في الدراسة.

الى الام الثانية التي تعبت من اجلي جدتي ام هاني .

والى كل من ساهم في انجاز هذه المذكرة من قريب أو بعيد.

شكر

قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذِلِّحْ لِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿19﴾ ۞

سورة النمل الآية 19.

وقال ﷺ: ﴿من لم يشكر الناس لم يشكر الله﴾

في البداية نشكر الله عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع
كما تتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا البحث
سواء من قريب أو من بعيد ، كما يسعدني أن تتقدم بأسمى التقدير وجزيل الشكر
إلى الأستاذ المشرف *أرفيس علي* الذي لم يخل عليا بنصائح القيمة
التي مهدت لي الطريق لإتمام هذا البحث ، ولا يفوتني أن تتقدم بجزيل الشكر والعرفان
إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة ، خاصة نروحي العزيز.

مقدمة :

منذ نهاية القرن الرابع هجري بدأت عوامل الضعف والانحلال تدب في كيان العرب المسلمين وتوالت عليهم المحن والنكبات فتعرضوا للموجات التزكية المتوالية التي لم تعر للفكر والعلم أي الاهتمام، يذكر ثم جآتهم الحروب الصليبية في القرن السابع للهجرة، واكتسحت موجات المغول العالم العربي واحتلت بغداد فعاشت فسادا في البلاد وأحرقت ماضي دور العلم والادب من كتب ومخطوطات ثمينة وفي مطلع القرن السادس عشر ميلادي فتح الاتراك البلاد العربية وظلت طوال القرون الثلاثة الاولى من حكمهم في عزلة تامة عن العالم الخارجي، بينما شهدت اوروبا نهضة علمية وادبية رافقتها اكتشافات جغرافية وحركة استعمارية ضمنت لها السيطرة على العالم الجديد، وعلى العديد من أقطار العالم القديم، في افريقيا واسيا واجتاحتها في القرن الثامن عشر ثورة سياسية وصناعية وقلبت أوضاعها رأسا على عقب، بينما كانت هذه التطورات تجري في اوروبا كان العرب منغلقيين على أنفسهم في ظل الحكم العثماني فلا اختراع ولا تقدم في العلوم والصناعية، بل جمود فكري واقتصرت العلوم عند العرب في هذه الحقبة الزمنية على المعلومات القديمة في اصول الدين والفقه واكتفى علماء العرب باجتار المعلومات القديمة دون الاقدام على أي تجديد.

كل هذا الانحلال والضعف الذي دب في الامة العربية الاسلامية جعلها تدخل في عدة أزمت منها الأزمة الفكرية وعدم التطور والرقى في شتى المجالات، فمجال معرفتها كان منحصر على القديم فقط لا الاتيان بالبديل او الجديد فلقد كانت حالة المسلمين مشحونة باضطرابات كثيرة فتأخروا عن الغرب تأخر لا مثيل له. مع حلول عصر جديد يسمى عصر النهضة العربية الذي رافقته تغيرات عديدة على المسلمين والذي يعتبر مرحلة مهمة في حياة الامة لأنه عصر التطور والرقى والاتيان بالجديد.

يبدأ عصر النهضة في التاريخ العربي في نهاية القرن الثامن عشر، وينتهي في النصف الأول من القرن العشرين وتعتبر هذه المرحلة الانتقالية من ظرفية التأخر التاريخي الشاملة، التي كان يعيشها العالم العربي والمتمثلة في ركود بنياته الاقتصادية والاجتماعية وجمود لبناته الفكرية في قوالب تقليدية وبسيطة الى عالم التقدم والرفعي الحضاري والازدهار العلمي والفكري .

كما يعود مصطلح النهضة في الفكر العربي الى حركة عمت البلاد العربية وهي تنبه العرب الى ما فيهم وادراك واقعهم المتخلف وسعيهم لإحياء الماضي ، بما فيه من أصالة وتراث عربي اسلامي والعمل على تجاوز التخلف من اجل بناء مستقبل أفضل.

وقد ساهم في ظهور هذه الحركة اي النهضة عدة عوامل، وعدة مصلحين قاموا بإعادة بناء واقع امة عربية من جديد كانت لهم افضال كثيرة على المسلمين في إيقاظهم من سباتهم الذي كانوا فيه ومن بين هذه العوامل وحركات الاصلاح، الجمعيات، والاحزاب، تأثر العرب بالفكر الغربي والانخراط معه.

ومن بين المصلحين الذين ساهموا في تغيير حالة الامة الاسلامية مما كانت فيه من جمود فكري وتردي في الاوضاع السياسية وغيرها جمال الدين الافغاني وهو أحد رواد النهضة العربية الحديثة وخاصة في مصر، فأعماله كانت بمثابة الشرارة التي اشعلت طاقات بعض الناس كما أنه يعتبر عاصفة من الجهاد فقد كان هدفه الأول، والأخير هو ان ينصح ويصلح وكان نصحه واصلاحه يهدفان أولا وأخيرا الى انقاذ المسلمين وتحريرهم من التخلف والاحتلال الاجنبي وبناء على اكتشافه هذه اللمحة الصغيرة على ما قدمه الافغاني في الفكر العربي الاسلامي ، فإن الاشكالية التي سأحاول الاجابة عنها في هذا الصدد ستكون على الشكل التالي: كيف ساهم جمال الدين الافغاني في النهضة العربية الاسلامية ؟

و تندرج تحت هذه الاشكالية مجموعة من الاسئلة تتمثل في :

اولا: ما مفهوم النهضة في كل من الفكر الغربي والعربي ؟

ثانيا: كيف بنى جمال الدين الافغاني اصلاحه الديني؟

ثالثا: ماهي المنطلقات التي اتبعها الافغاني في اصلاحه السياسي ؟

وبناء على هذه التساؤلات يمكن القول بأن ما قام به جمال الدين الافغاني من اصلاحات سياسية ودينية في مجال النهضة وفي ايقاظ الامة العربية الاسلامية، هذا كله جعلني اتناول هذه القضية التي أثارت اهتمامي وجعلتني ابحث في هذا الموضوع.

كذلك حب الاطلاع في فلسفة جمال الدين الأفغاني بحيث أتى بنظام جديد وهو اصلاح حال هذه الامة العربية - كذلك لأنه رائد من رواد حركات الاصلاح في العالم العربي الاسلامي حيث أحدث نهضة فكرية وادبية جعلت العالم العربي يتغير مما كان فيه من ركود وجمود الى نهضة وتقدم.

-التعرف على الأساليب والقواعد الاستدلالية التي اعتمد عليها جمال الدين الافغاني في احداث اصلاحات سياسية ودينية.

اما فيما يتعلق بالمنهج الذي اعتمد عليه في بحثي فهو المنهج التحليلي و التاريخي من أجل تحليل وتفكيك معنى النهضة العربية الحديثة وتتبع احداثها تطوراتها التاريخية عند جمال الدين الافغاني كون هذين المنهجين يتناسبان مع طبيعة الموضوع المختار ، و للإجابة على الاشكالية المقدمة لهذا البحث والتساؤلات المطروحة التي اعتمدت على خطة متكونة من مقدمة و ثلاثة فصول و خاتمة وهي على النحو التالي:

-مقدمة وهي بمثابة الإطار العام الذي ترسم فيه ملامح الموضوع وتحديد الاشكالية.

الفصل الاول جعلناه تحت عنوان مفهوم النهضة في الفكر الغربي والعربي الحديث وهو ما تكون من ثلاثة مباحث مفهوم النهضة لغة واصطلاحا وهنا تطرقت الى شرح معنى النهضة بصفة عامة اما المبحث الثاني فهو تحت عنوان مفهوم النهضة في الفكر الغربي الحديث وهنا اتبعت كيف بدأت او ظهرت النهضة عند الغرب

وماهي معالمها، اما المبحث الثالث فهو تحت عنوان مفهوم النهضة في الفكر العربي الحدث وتطرت الى بداية ظهور هذا المفهوم ومع من ظهر، اما الفصل الثاني فهو تحت عنوان الاصلاح الديني عند جمال الدين الافغاني وفيه مبحثين الاول الالتزام بمبادئ الاسلام والافتداء بسلف الامة، وفيه بينت دعوة جمال الدين الافغاني الامة الاسلامية الرجوع الى الدين وحده كسبيل للنهوض بالامة الاسلامية اما المبحث الثاني فهو بعنوان التوفيق بين العلم والايان والذي شرحت فيه كيف دافع الافغاني عن الدين ضد التهم التي اطلقت عليه من خلال الفيلسوف ارنست رينان.

أما الفصل الثالث فهو بعنوان الاصلاح السياسي لجمال الدين الأفغاني ،فيه ثلاث مباحث فالمبحث الاول بعنوان توحيد الامة الاسلامية ودعوته للجامعة الاسلامية فقد تطرقت فيه الى دعوة الأفغاني المسلمين الى التوحيد لأنه سبيل لنهضتهم ،اما المبحث الثاني فهو بعنوان تحرير الامة الفردية من الاستبداد وفيه دعى الافغاني المسلمين الى تحررهم مما فيه وخاصة من الحكام ،اما المبحث الثالث بعنوان رفض تقليد الغرب وضحت فيه دعوة الافغاني المسلمين بعدم تقليد الغرب .

وخلصت في النهاية كما هو متعارف عليه الى خاتمة خرجت فيها بأهم النتائج والافكار التي تطرقت اليها في موضوعي هذا.

ومن خلال انجازي لهذا الموضوع صادفتني مجموعة من العراقيل، لأن تقديم اي بحث ليس بالأمر الهين فلا بد ان تواجهه صعوبات وهذا ما صادفني او وقعت فيه وهو قلة المصادر والمراجع التي تتناول هذا الموضوع ،عدم فهمي لمؤلفات الافغاني .

واخيرا ما يمكن قوله في هذا الصدد هو أنه لا بد من وجود نقائص في هذا البحث الذي آمل ان يكون قد اعطى ولو بالقليل في تبيان اصلاحات جمال الدين الافغاني .

الفصل الاول

تطور مفهوم النهضة في الفكر الغربي و العربي الحديث

المبحث الاول: مفهوم النهضة لغة و اصطلاحا

المبحث الثاني: مفهوم النهضة في الفكر الغربي الحديث

المبحث الثالث : مفهوم النهضة في الفكر العربي الحديث

تمهيد :

ان موضوع النهضة من المواضيع التي شغلت العالم الغربي والعربي، وهو يعد مسألة جديرة بالاهتمام بالدراسة لاسيما أن النهضة قد غيرت وجه العالم ونقلته من عالم بدائي ومتخلف الى عالم الصناعة والحداثة والتقدم في شتى المجالات، وان جوهر اي نهضة وأي تغير هو الانسان لأنه السبيل الى التطور من خلال أفكاره وسلوكه فهو عن طريق فكره يلغي القديم الذي سار فيه الجمود الفكري ويأتي بالجديد الذي يطور ويحدث التجديد، و من هنا يطرح التساؤل التالي: ما مفهوم النهضة ؟

المبحث الاول : مفهوم النهضة لغة واصطلاح .

مفهوم النهضة لغة :

جاء في معجم مقاييس اللغة بأن النهضة هي نُهْض ،النون والهاء والضاد اصل يدل على حركة في علو ،¹ وهذا ما أكد عليه ابن منظور ،نُهْض، النهض: الضيم وقد ذكرت في الضاد وهو صحيح ونُهْض النهوض البراح من الموضع والقيام عنه ،نُهْض ينهض وانتهض اي قام، وانُهَضته انا فانتهض و انتهضت القوم وتناهض و، أي نُهَضو للقتال ،وانُهَضته حركة للنهوض و استنهضه لأمر كذا اي أمرته بالنهوض له ،و ناهضته اي قاومته و تناهض القوم في الحرب اذ نُهَض كل فريق الى صاحبه ونُهَض النبت اذ استوى .²

اما في قاموس المحيط فهي النهض من البعير ما بين المنكب والكتف،³ لذا فالنهضة هي تلك الحركة او النشاط التي يقوم بها الانسان والتي تحل محل الجمود.

مفهوم النهضة اصطلاحا :

أما النهضة من الناحية الاصطلاحية فقد اختلفت التعاريف ويعود هذا الى اختلاف الآراء حول هذه العملية، من حيث مجالاتها وشموليتها فبعضهم يقتصر في تحديد مفهوم النهضة من مجال معين ،كالمجال السياسي فيقوم بتعريفها من خلال هذا المجال المحدد بينما البعض الآخر يرى بأنها عملية شاملة لجميع المجالات فيكون تحديد مفهوم النهضة تبعا لهذه الرؤية الشمولية.

¹ -ابن منظور، لسان العرب، (دط)، دار المعارف، القاهرة، دت،ص307.

² -ابي الحسن احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ،تحقيق، عبد السلام مُجْد هارون ،دط، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ،دت،ص336.

³ -محمد الدين مُجْد بن يعقوب الفيروز ابادي، قاموس المحيط، اشراف مُجْد نعيم العرقسوسي ،ط8، لبنان، 2005، ص656.

ولذلك فإن كلمة النهضة بوصفها مصطلحا تحمل معنى شامل فهي حركة اجتماعية فكرية تستهدف الى الرجوع

الى زمن مرجعي او الى نموذج ثقافي روحي تحدد فيه سبيلا الى تجاوز واقع لا ترتضيه.¹

كما انها حالة تالية عندما ينظم عالم الافكار ويستيقظ عالم المشاعر ويندفع فيها الانسان متحررا من قيود الخوف

ليمارس دوره في جميع المجالات.²

ومن خلال هذا المعنى الذي ذكره جمال الدين الافغاني* المصلح العربي الذي يرى بأن سبب قيام النهضة العربية

لا بد ان تتمسك بديننا وما ينصه علينا.³

كما انها توازي النهضة ، كما ادرك من مختلف استعمالاتها مفهوم التقدم في مواجهة مفهوم التخلف بغض النظر

عن ارتباط احد هذين المفهومين بالغرب او بالشرق او عدم ارتباطه ، او بغض النظر عن طريقة تحقيق هذا التقدم

بالرجوع الى الماضي او يقطع الصلة عنه .⁴

¹ - سميع بن سعيد العلوي ، الاسلام اليوم ، في النهضة العربية الاسلامية الثانية الشاملة ، مجلة دورية ، المنظمة الاسلامية للتربية و العلوم و الثقافة ، ص101.

² - جاسم سلطان ، النهضة من الصحوة الى اليقظة ، (دط) ، سلسلة ادوات القادة ، دت ، ص42.

³ - جمال الدين الافغاني ولد في قرية اسد اباد في افغانستان عام 1839 ، تلقى تعليمه في مدينة كابل حيث تعلم اللغة العربية و العلوم الدينية من تفسير و حديث و فقه و كلام و صرف ، و العلوم العقلية ، من منطق و رياضيات ، و انتقل الى الهند فتعلم الانجليزية و جمع فيها الثقافة القديمة و الحديثة ثم رحل الى مكة المكرمة حاجا ، و عاد الى افغانستان فتولى رئاسة وزارتها عهد محمد اعظم ، توفي عام 1897 .

⁴ - علي المحافظة ، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ، دط ، الاهلية للنشر و التوزيع ، بيروت ، 1987 ، ص73.

المبحث الثاني : مفهوم النهضة في الفكر الغربي الحديث .

عاشت القارة الأوروبية قرونا طويلا اتسمت الى حد كبير بالتخلف والظلام ، اتفق المؤرخون على تسميتها بالعصر الوسيط، الذي امتد في رأي بعضهم ،حتى اواسط القرن الخامس عشر وفي رأي الاخرين حتى اواسط القرن السابع عشر¹

كما كان ينظر الى العصور الوسطى على أنها تمثل فجرا جديدا ،بالنسبة الى عصور من الظلام عاش فيها الغرب ابان حكم الامبراطورية الرومانية.

لكن ما ان لاح عصر النهضة حتى بدا انه فجر جديد بالقياس الى العصور الوسطى التي أصبح يقال عنها عصور الظلام²

وجاء مصطلح النهضة في الفكر الغربي من اللفظة الفرنسية renaissance وهو يعني "ميلاد جديد" ، لم يظهر في اللغة الفرنسية الا مع بداية القرن التاسع عشر . في حين ان الميلاد الجديد الذي يشير اليه قد انطلق من ايطاليا ،ليعم اوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وهو يتمثل في قيام حركة تجديد واسعة وعميقة شملت الفنون والعلوم و الآداب ، حركة اعتمدت احياء التراث الاغريقي-الروماني ، مما جعل منها حركة تجديدية بمعنى الكلمة بل (ميلاد جديد) لقارة ظلت ميتة طوال القرون الوسطى وبكيفية خاصة في القرون (المظلمة) منها .³

ومما هو متفق عليه في بعض الكتب على أن النهضة في الفكر الغربي الحديث هو نهوض الانسان من رقدته وتحطيم اغلاله التي غل بها طول العصور الوسطى ،واطلق فكره حرا يستطلع اسرار الطبيعة ،ويستجي اوجه الحياة لعله يجد نفسه ويحقق وجوده بعد أن انفق قرونا وهو همل لا يحس الوجود ،ولا يكاد يحس الوجود ،فتعددت نواحي النشاط من الانسان وتنوعت الوان تفكيره⁴

¹ - كمال مظهر احمد، النهضة، (دط)، منشورات وزارة الثقافة و الفنون، العراق، 1979، ص5.

² - يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، (دط)، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1993ص43.

³ - محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، ط 5، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص22.

⁴ - زكي نجيب محمود، احمد امين ، قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجة التأليف و النشر، 1355-1936ص36.

اذن فالنهضة الغربية هي فترة الانتقال من العصور الوسطى الى العصور الحديثة، وهي تحتل مكانة بارزة في تاريخ اوروبا بل في كل التاريخ الحضاري الانساني لما قدمته من جديد في مجالات الابداع الفكري والفني ولما احدثت من تغيير في نظرة الانسان للحياة وفي تقييماته لمظاهرها بحيث انها (النهضة) غدت تشكل نقلة كبيرة ذات مضمون شامل في مسيرة التطور البشري تعددت أثارها حدود القارة الاوروبية بشكل يحس المرء حتى اليوم بإشعاعاتها النيرة اينما كان فقد تمخضت على احياء القديم وتطوير ما كان قائما، وتدشين بدايات رائعة في حقول شتى من المعرفة الانسانية.¹

وكان من الطبيعي ان تتحول الانظار بصفة خاصة في عصر النهضة الى الفلسفات اليونانية او الى التراث اليوناني ، لأن مفكري عصر النهضة وجدوا في هذا التراث إعزازا وإكبار للعقل الانساني ، وقيمته وكرامته وهي امور كانت في العصور الوسطى قد قضت عليها.²

لأنه في ذلك الوقت كان رجال الكنيسة (العصور الوسطى) ، شغلهم الشاغل هو السيطرة على الافراد والتحكم فيهم، ومحاربة المفكرين ومحاكمتهم بقسوة.

والنهضة في الفكر الغربي هي وليدة مجموعة من عوامل داخلية اساسية وخارجية مساعدة تفاعلت في رحم المجتمع الاقطاعي الاوروبي .

¹ - كمال مظهر احمد، المرجع السابق، ص3.

² - يحي هويدي، المرجع السابق، ص43.

ومن هنا فإن النهضة كانت تشكل بحكم واقع تكوينها ، اتجاهها جديدا في التفكير والنظرة الى الامور تختلف كليا عما كان يسود ذلك المجتمع من قيم نجمت عن طبيعة العلاقات الإقطاعية التي تحولت الى عبئ في غاية الثقل على كاهل الناس وكذلك عن جمود و دكتاتورية الكنيسة الكاثوليكية ، التي كانت تقيد الفكر وتحول دون الابداع ، فبدأ المفكرون في البحث عن أساليب جديدة لمناهضة الافكار والنظم السائدة ولفضحها .¹

وللعرب دور كبير في ظهور النهضة الاوروبية مما ساعدها في الخروج من عصر الظلمات الى عصر النور ، فلقد تزامنت انطلاقتها الاولى في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، مع بداية التراجع الخطير الذي عرفته الحضارة العربية الاسلامية بفعل عوامل داخلية متشابكة متظافرة ، ثم صارت الامور بعد ذلك في الاتجاه ذاته ، اذ بمقدار ما كان مسلسل التراجع يعود بالعرب الى الوراء كان مسلسل النهضة والتقدم يخطو بأوروبا خطوات الى الامام .²

وهذا من اسباب التطور والتقدم الغربي عن حساب العرب ، فمنذ سقوط القسطنطينية قبل خمسمائة سنة ، في أيدي الاتراك ، بعث هجرة اللغة الاغريقية الى أوروبا ، فإن كثيرين من المثقفين الاغريق ، أي الرومان الشرقيين وجدوا ان العيش في ظل الاتراك لم يعد يلائمهم ، فتركوا بلادهم ونزحوا الى روما وباريس وغيرها ولم يكن الاوروبيون يعرفون اللغة الاغريقية القديمة فتعلموها من هؤلاء النازحين واتصلوا عن سبيلها بالفلاسفة والأدباء والعلميين من الاغريق القدماء وأخصب هذا الاتصال أذهانهم التي لم تكن تعرف من الثقافة سوى تلك الثقافة الدينية التي لم تكن تتجاوز ديور الرهبان.³

¹ - كمال مظهر احمد، المرجع السابق، ص15.

² - سلامة موسى، ماهية النهضة، (دط)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغبة، 1987، ص75.

³ - محمد عابد الجابري، المرجع السابق ص25.

لذا سمي هذا الاتصال بالإغريق والقدماء بالحركة البشرية ، حيث ان الثقافة الجديدة لا تعتمد على الالهيات والكتب الدينية فقط ، وانما تعتمد على البشر ايضا ، على المعارف وليس على العقائد ، ومن هذه الحركة نشأ العلم لأنه معارف وليس عقائد ، وهو الذي قرر للأوروبيين السيادة عن غيرهم.¹

فإسهامات العرب عن الغرب قد اعطت لهم يد القوى في كل المجالات وخاصة العلمية لان هجرة علماء العرب الى الغرب قد اثمرت ثمرا كبيرة ومنها القيادة على بقية العالم.

ويعتبر عصر النهضة الأوروبية عصر قائم بذاته فهو عصر اختيار القيم القديمة ، عصر العلم الجديد والقيم الجديدة ، عصر الانتقال من العصور المظلمة الى العصور الحديثة ، كما ان مظاهر النهضة الأوروبية لم تقتصر عن بلد دون سواه ، ولا جرى تطورها وذبولها بذات الوتيرة ونفس النمط ، فقد تباينت هذه المظاهر بحسب ظروف كل بلد من تلك البلدان .²

كما تعود بدايات النهضة الأوروبية اولا في جنوب القارة وهي شبه جزيرة ايطاليا ففجر النهضة الغربية الحديثة قد دشن في ايطاليا فيما تنفس صبحها في فرنسا وأشرقت شمس ضحاها في اوروبا الغربية لذا فتعتبر ايطاليا مهد النهضة الغربية والحركة الانسانية ، لأنها ازدهرت بقوة في اواخر العصور الوسطى ونتيجة لعدة عوامل سجلت لها الأسبقية عن باقي الأقطار الأوروبية ومن بين هذه العوامل ما يلي :

- موقعها الجغرافي : لها موقع ممتاز في وسط البحر ، ذلك البحر الذي قامت على ضفافه أقدم الحضارات و أعرقها وبفضل هذا الموقع جعلها حلقة اتصال بين اوروبا وبين الحوض الشرقي المتوسط ، بالإضافة الى أنها كانت طوال العصور الوسطى مركزا لنشأ اقتصادي .³

¹ - سلامة موسى، المرجع السابق، ص75.

² - ضمد كاظم وسمي ، النهضة الأوروبية وقضية الحرية ، إصدار عن منتديات ليل الغربية ، نيسان 2009. ص48

³ - شوقي عطا الله الجميل، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، تاريخ اوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، (دط)، المكتبة المصرية لتوزيع المطبوعات ، القاهرة 2000، ص8.

- هي موطن الحضارات الرومانية ، حيث انما شهدت أوج هذه الحضارات، وما مر بها من خلال فترة هذه الإمبراطوريات العظيمة من نكبات و انتصارات ، وما ان تم القضاء على هذه الامبراطوريات نجدها تحتضن الآثار الباقية من تماثيل وقصور بالإضافة الى الوثائق والمخطوطات التي كانت تزخر بها ، والتي عمل علماء هذه الحركة على الاكثار منها والتنقيب من أجلها، الى جانب هذا فالإيطاليون قالوا ان هذه التماثيل والآثار دليل على عظمة ابائهم¹ . لذا فهذه العوامل جعلت من ايطاليا هي مهد النهضة الغربية في كل المجالات الفنية والادبية والاقتصادية ادى بتطور مدنها وانتعاش صناعاتها، وتجارتها كما جعلها اغنى اقليم عن العالم المسيحي آنذاك.

وإن هذه العوامل التي أدت الى ظهور النهضة عند الغرب لم تكن حادثة مباغتة، وإنما هي نتيجة لثلاث حركات كبرى شهدت القارة الأوروبية وأحدثت التغيير في المجتمعات كلها فهي قد أزاحت ما كان سائد في العصور الوسطى، من تقيد للكتب الموروثة دون مباشرة الطبيعة بتسلط العقل عليها، واستخراج المعارف لذا فإن هذه الحركات الثلاث اخرجت أوروبا من ظلامها ومن جمودها الفكري وحررتها، وهي الحركة الانسانية ، الحركة الاصلاحية، الحركة العلمية.

أولاً: الحركة الانسانية : هي أهم حركة شهدت القارة الغربية وهي أبرز أوجه عصر النهضة ، فهي اطار ثورة ثقافية وفكرية وعلمية ذات طابع متميز في التاريخ الانساني² هي حركة تمثل في جوهرها التيار العلماني في عصر النهضة الأوروبية³، كانت بداية ظهورها اولاً في ايطاليا.

¹ -عبد العزيز سليمان نوار ،محمد مجد جمال الدين ،التاريخ الاوروبي الحديث، (دط)، دار الفكر العربي ،القاهرة ،1999،ص16.

² - ضمد كاظم وسمي ، المرجع السابق ،49

³ - د. لويس عوض، ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية ،ط1، مركز الاهرام للترجمة و النشر ، القاهرة ،1987،ص180.

تعتبر ثورة جرافة عنيفة تصدت الى تحرير الحياة مما أصابها ابان العصور المظلمة من عقم وجمود أرادت ان تنهض العقل من عثاره ، وان تنفخ فيه روح الحرية والحياة والنشاط، و أول من حمل لواء هذه الحركة هما بترارك ودانتي¹ ، وقد أكدت ان هذه الحركة عملت على تبدال تقاليد وعادات الفكر في العصور الوسطى ، تعتبر من ابرز مميزات عصر النهضة التي قامت بدراسة التراث الانساني القديم بمعنى الدراسات الاغريقية واللاتينية. ويعتبر الانسانيون ايدولوجي عصر النهضة ، فهم الذين خطوا الخطوة الاولى في وضع الاسس الدنيوية للثقافة الجديدة ، لأن الانسان ذا تجربة سابقة كان له أثر كبير في ظهور هذه الحركة التي شيدها و وسعها عن طريق معارفه وتجاربه.

ويطلق على مصطلح الانسانية والانسانين (humanism -humanistic) كتعبير اجتماعي ظهر في القرن السادس عشر من الكلمة اللاتينية (humantas) التي تعني الانسانية حرفيا وهي مقتبسة بدورها من كلمة (homo) التي تعني الانسان ، وقد أراد اصحاب هذا الاتجاه الجديد باختيارهم لهذا التأكيد من الطابع الدنيوي للعلوم والآداب وعن قيمة الفرد في الحياة بعد تجريده منها على مدى قرون طويلة ، وبشكل خاص بعد أن تحولت النقابات والاصناف الى تنظيمات جامدة فرضت قيودها عليه ، وأبرز خاصية للحركة الانسانية هي تأكيدها على الذات أو شخصية الفرد² individun,individunlism

إن تأكيد الانسانية عن الفرد انما كانوا يهدفون او يرمون على اعطاء الفرد مكانته أو موقفه الطبيعي في المجتمع ونظرة الانسانية الى الأفراد هكذا جاءت مناقضة لما كان عليه من قبل في العصور الوسطى ،لأنه جرد من كل ما يملك من طرف رجال الكنيسة، وجاءت أفكارهم ثورة عن ما جرى في العصور المظلمة أي الوسطى.

¹ - شوقي عطا الله الجميل، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع سابق ،ص8.

² - كمال مظهر احمد، المرجع السابق ،ص38.

وكذلك هذا ما أكد عليه يحي هويدي في كتابه قصة الفلسفة الغربية عندما بين ان المناذاة بقيمة الانسان في كتابات رجال النزعة الانسانية ابان عصر النهضة كانت موجهة بصفة خاصة الى شمولية الملكية وفي الكهنوت المسيحي ايضا ممثلا في سلطة الكنيسة ، الامر الذي أدى الى ظهور جماعات الفرنسييسكان ضد الدومينيكان ، وليس من شك في أن هذا الاتجاه اي النزعة الانسانية في عصر النهضة قد ادى ايضا الى التقليل من قيمة الدراسات الكونية الكوزمولوجيا التي كانت تغلب عن اهتمامات فلاسفة العصور الوسطى، والارسطيين منهم بصفة خاصة مما انتهى بهم الى وفرة بحوثهم الطبيعية الفلكية عن حساب الدراسات الانسانية.¹

ويعتبر الانسانيون هم العلماء الذين انفقوا كل ما يملكون من مال وجهد، في سبيل ازدهار هذه الحركة ، لذلك كانوا يبحثون عن القديم بكل شغف وشوق دون أن ينظروا الى المقابل المادي من وراء ذلك وبعد ان يجدوا ما يريدون يصيغونه بطابعهم الخاص.²

هذه الحركة الانسانية كان هدفها احياء التراث الكلاسيكي وتمجيد الانسان والحياة الانسانية بما فيها من علوم وفنون وآداب ونشاط حيوي . هذه الحركة قام بتأسيسها مجموعة من العلماء الذين أعطو قيمة للفرد، وبوصفه انه المقياس الوحيد الذي تحدد أنواع القيم الاخلاقية والانسانية ومن أهم هؤلاء الرواد هم:

دانتي اليجيري (1265-1321) ابو الشعر الايطالي كما يسمونه في تاريخ الآداب الاوروبية و واضع الأساس للأدب القومي في ايطاليا ورائد الفكر السياسي الحديث في عصر النهضة . هو اول شاعر فحل يستخدم اللغة الايطالية وهي لهجة علمية من لهجات اللغة اللاتينية التي كانوا يتكلمون بها في ايطاليا في التعبير الادبي العظيم وبذلك جعل دانتي من هذه اللغة العامية الرثة القلقة الفقيرة الركيكة لغة فصحي قادرة على التعبير الادبي البليغ.³

¹ - يحي هويدي ، المرجع السابق ، ص 45.

² - عبد العزيز سليمان نوار، محمود مجد جمال الدين ، المرجع السابق، ص 8.

³ - لويس عوض ، المرجع السابق ، ص 27.

كما أنه يعرف باتفاق الاراد على أنه المبشر الاول للنهضة ودليل على أنه رائد الفكر السياسي، ويتضح انه كان من مثقفي عصره ومن رواد الحركة الانسانية الذي أراد أن يغير في الحياة والمجتمع عن طريق الآداب ووضع اللغة القومية، ولقد بلغ ادب دانتي الذروة شكلا ومضمونا في رائعته (الكوميديا).

التي عرفت من بعده مباشرة بالكوميديا الالهية والتي تميزت بطابع موعظي ديني عام، لم يكن بإمكان دانتي التجرد منه الا انها تحتوي الى جانب ذلك على أفسى وابلغ نقد أدبي وجه الى الكنيسة ورجالها، هذه الكوميديا الالهية تعتبر اول قصة تحتوي على مضمون وطني عميق مع تعبير واضح عن الوجود القومي للشعب الايطالي.¹

دانتي ومن خلال هذه الكوميديا الالهية اراد ان يجد الحلول لجميع مشاكل المجتمع الايطالي السياسية ورأى ان هذه الكوميديا هي المخرج من تلك المشاكل العويصة وهو من خلال أعماله دعا الى حرية الشعب وانطلاق العقل لفهم العالم واحترام قيم الفرد فأيقض العقول ووجه ضربة الى القيم الاقطاعية و الكاثولوكية السائدة في ذلك الوقت و استحق لقب المبشر أو الرائد الأول لأفكار النهضة.

أما ثاني رائد من رواد الحركة الانسانية فهو بترايك (1304-1347) أبا الشعر الايطالي الغنائي بصفة خاصة، نظم في اللغة الايطالية الدارجة في زمانه وفي كل العصور، كان من أوسع أهل زمانه معرفة بآداب القدماء وعمل على احياء ثقافة الرومان، كان دائم البحث عن المخطوطات اللاتينية وجمعها ودراستها، كان صاحب اسلوب راق في اللاتينية، ابتكر او على الأصح طور في الشعر الايطالي قالبا غنائيا خاصا هو "السونيته".²

ويعتبر اهتمام بترايك بالأدباء القدامى خاصا لأنه اصطدم بواقع وافكار العصور الوسطى وأصبح يرى بأن الأسلوب الذي يسلكه الأقدميون هو الطريق الصحيح لتحرير الانسان وهو أول من عبر بوضوح عن حق الانسان في الإهتمام بهذه الحياة الدنيا والاستمتاع بما تحويه من روعة وجمال.

¹ - كمال مظهر احمد، المرجع السابق، ص71.

² - لويس عوض، المرجع السابق، ص55.

بوكاشيو (1313-1375) ثالث الثلاثة الذين وضعوا في القرن الرابع عشر أساس عصر النهضة الأوروبية ، لا في إيطاليا وحدها ولكن في أوروبا كلها ، وثب الوثبة الكبرى وكتب النثر الأدبي باللغة العامية في مجموعته القصصية المعروفة باسم "ديكاميرون" أي القصص العشر، وبذلك وضع أساس النثر الفني في الأدب الإيطالي الحديث . وهو يعد قطب من أقطاب حركة الرينيسانس بسبب دفاعه عن الأدب عامة وعن الشعر خاصة، في زمن كانت الكنيسة لاتزال فيه تحرم كل نشاط فكري او فني او علمي يخدم الدنيا ولا يخدم الدين وتعدده منافيا للإيمان المسيحي القويم¹.

ومما يمكن استنتاجه من خلال سردنا للأعمال التي قام بها هؤلاء الرواد الثلاثة دانتى ،بترارك و بوكاشيو ارى ان كل منهم له دور بارز وفعال في وضع اللبنة الاولى ،التي اعتمد عليها التطور لأفكارها التي تعمقت بعدهم وبفضلهم أكثر من السابق، هذا مايعطي لنشاطهم وأفكارهم أهمية خاصة ،وقد ظهر الى جانب هؤلاء الرواد انسانيون استحوذوا التاريخ عن افكارهم فخصصوا الجانب الاكبر من اهتمامهم للبحث فيه، ولدراسة أحداثه ،ويعتبر ميككيافلي ابرز مؤرخ ظهر في ذلك العصر.

ميكيافلي (1469-1527): صاحب مشروع بناء الدولة الحديثة مركزا بذلك على مجد روما القديمة ووثنتيتها اذ اعتبر ان البابوية لم تعد قادرة على توحيد إيطاليا ، وزعم انها جعلت الايطاليين غير متدينين وساهمت في خلق نزاعات شريرة لدى شعبها .بحيث غدت الحيلة والقوة وسائل تحقيق النجاح ،فبات "الأمير" هو خلاص إيطاليا، ويعكس مؤلفه الشهير الامير رغبة في خدمة آل مديتشي خصوصا وتوحيد إيطاليا عموما.²

لعب مشروع ميكيافلي السياسي دورا مهما في تطوير الدراسات التاريخية ونظرياتها وأجد ان اراءه في الدولة جاءت نتيجة لاصطدامه بالواقع في ذلك الوقت فأفكاره جاءت كرد فعل عن رجال الكنيسة ،وعن البابوية التي

¹ لويس عوض ،المرجع السابق ،ص68.

² -ايوب ابودية،علماء النهضة الأوروبية،ط1،دار الفرائى للنشر ،لبنان،ص53،52.

رأى بأنها لم تعد قادرة على توحيد إيطاليا وميكافيللي لم يكن الوحيد من بين اعلام النهضة الذي وضع أفكار جديدة من خلال اصطدامه بالواقع فقد شاركه انسانيون آخرون عاصروا المرحلة الاخيرة من عصر النهضة. ومن بين هؤلاء الانسانيون شكسبير وسيرفانتس الذي بلغ كل منهما ذروة مجده ويهدف كل من هذان الفيلسوفان من خلال اعمالهما الى وجود حكومة موحدة قوية تتمكن من القضاء على النسب الاقطاعي والعمل على فتح باب الحرية والعدالة لدى الأفراد.

والى جانب هؤلاء يوجد رائد آخر من رواد النهضة والحركة الانسانية "ليوناردو دافنشي 1452-1518" وهو خير من يمثل العصر الذهبي للنهضة الفنية في إيطاليا، فلقد كان عالما متعدد المواهب والاهتمامات، ترك العديد من المخططات والتصميمات الهندسية والمعادلات الرياضية، كما أنه في التصوير ليس له مثيل، فلقد أخرج تحفة الفن والجمال التي تتحاكى بها الاجيال وتحاكيها، وهي لوحة الحيوكاندة أو الموناليزا وايضا لوحة ليديا وطائر البجع.

والى جانب هؤلاء الفنانين الذين وردت سيرتهم واعمالهم يوجد هنالك عمالقة آخرون من امثال رافايال وتتان اللذان قاما بتجميل قصور امراء عصرهم لتحتل محل القلاع والحصون الخشنة التي كانت سائدة في العصور الوسطى وخير مثال نجده في قصر آل مديشتي في فلورنسا.¹

وهكذا فإن الحركة الانسانية جاءت كرد فعل عن الاعمال التي يقوم بها رجال الكنيسة والهيمنة على الأفراد فهي قامت بإعادة اعتبار الانسان وأعطت له دور مهم وفعال في الحياة وهذا ما أكد عليه رواد هذه الحركة.

ثانيا حركة الاصلاح الديني : هي حركة سايرت الحركة الانسانية في خطاها هي حركة الاصلاح الديني التي نبتت جذورها في المانيا ثم ذاع منها في سائر الارحاء، وانتهت بالناس الى الثورة على الكنيسة وسلطتها ووجوب حرية الفرد و استقلاله في الرأي.²

¹ - اسحاق عبيد، عصر النهضة الاوربية، (دط)، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، ص29.

² - زكي نجيب محمود، احمد امين، المرجع السابق، ص37.

وفي نهاية القرون الوسطى بدأ التفكير في نقد الكنيسة لأنها كانت تهيمن على الفكر والحياة الاجتماعية والسياسية وفي هذا العصر ظهرت حركة الاصلاح الديني التي أدت الى تغيير جذري ونتج عن ذلك تكون المذاهب البروتستانتية وانتشارها كذلك ظهر الاصلاح الديني الكاثوليكي.

ويرتبط الاصلاح الديني في اوربا بإسم مارتن لوثر (1438-1546) غير ان لهذه الحركة اسهامات تمتد الى القرن الرابع عشر على يد جون ويكليف (1328-1384) في إنجلترا، وجون هيس (1415-1443) في اقليم بوهيميا فقد طرحا الكثير من الافكار الاصلاحية، فقد اثبت هيس سلطة الكتاب المقدس وحده.

وتخطي الخطر الكنيسي، وكانت حركته وراء نشر الشعور الوطني واكتشاف الحاجة الى الاصلاح، ولكن وضع الاسس التي تشكل حركة الاصلاح كانت متأثرة لوثر العظيمة .

هذه الحركة الاصلاحية انما هي رد فعل عن تردّي أوضاع الكنيسة المسيحية والممارسة الدينية الخاطئة في العصر الوسيط، هذه الاوضاع كلها هي بمثابة الاسباب الكافية للقيام بحركة اصلاحية دينية للقضاء على كل ماهو سلمي وانه ليس مجرد حدث فكري تحكمه الصدفة في صعود مارتن لوثر سلم بيلاطس في روما (1511) انه ضرورة تاريخية ترتبطا جدليا بمطالب العصر والواقع، الاصلاح شرط جدلي مرتبط بواقع خصب يتحرك في داخله بركان ثورة¹ عن البابا وعن الكنيسة الكاثوليكية وصكوك الغفران.

وجاء نقد لوثر لصكوك الغفران تعبيرا عن الشعور العام، ولسان حال عشرات الالاف ممن عاشوا في هذا العصر في المانيا وبقية اتحاد اوربا.²

¹ - فريال حسن خليفة، اهمية العقل - الاصلاح الديني و التواصل الحضاري، (دط)، مصر العربية للنشر و التوزيع، القاهرة، 2000، ص9.

² - فريال حسن خليفة، المرجع نفسه، ص11

ورغم الشدة والقوة التي كانت تعتز بها الكنيسة تبين للناس انه لم يعد بالإمكان اخضاع جميع سكان غربي اوربا لسيطرة البابا ، فقام مارتن لوثر في عام 1520 بجمع طلاب جامعة روتنبرك وسار بهم الى خارج المدينة وهناك احرق دستور الكنيسة وشرائعها وأعلن بذلك عصيانه عليها ،وكذلك على البابا رئيسها بإحراقه المرسوم الذي وجهه هذا ضد لوثر وتعاليمه.¹

كان لوثر من بين الذين اضطهدوا من تعاليم الكنيسة لذا قام ثائرا عليها وأبطل تعاليمها وقام بعدة اصلاحات منها اصلاح العقيدة واصلاح المؤسسة الدينية.

اولا: اصلاح العقيدة: الذي يتسم بإعمال العقل بحرية تامة ،وبجراحة وبلا خوف أو شرط في فهم النصوص الدينية وتفسيرها ،فيضع العقل حدا للمعتقدات الدينية الزائفة التي لا تتسق مع العقل، كما تتلشى الرؤية الاحادية ،ويتأكد حق الانسان في التفكير العقلي الحر ،حرية غير مشروطة الا بالعقل ذاته ، لا سلطة دينية عليه او سلطة تراثية .

بمعنى اعطاء العقل صلاحيات واسعة في ادراك الحقائق والحكم النهائي عن الحياة البشرية ،وهو أساس في التفكير الغربي مما أدى الى ولادة فكر جديد.

أما الاصلاح الثاني: فهو اصلاح المؤسسة الدينية فهو يقوم على هدم السلطة البابوية ،هدم القانون الكنيسي وتحديد مملكة الله بأنها كل فرد يستمع بصدق الى صوت المسيح الى كلماته ،وتأكيد مبدأ الحرية والمساواة والديمقراطية في الجماع الكنسية ،وعدم الخلط بين قانون الروح والقانون المدني ،كل منها له مجاله ولا تداخل مع الآخر.²

هدف هذا الاصلاح هو جعل الناس سواسية ولايكون هنا التمايز بين الافراد، ولذا يجعل لوثر العقل الانساني والكتاب المقدس مرجعه.

¹ -جفري برون، تاريخ اوربا الحديث ،ترجمة على المرزوقي ،د ط ،الاهلية للنشر و التوزيع ،عمان، د ت ،ص170.

² - فريال حسن خليفة، المرجع السابق ،ص14

وبذلك يجد من سلطة البابا والكنيسة وهذا ما أكد عليه جون كالفن بأنه هو الشيء الوحيد الذي يستخلص من جمهور المسيحية أصول عقيدتهم دون سواه وبذلك أصبح الاصلاح الديني بمثابة ضربة قاضية ومهدمة لكل ما بناه رجال الكنيسة من تعاليم زائفة سيطرت على أفكار الناس وبمجيء مارتن لوثر واصلاحاته أعاد للإنسان سلطته في الدولة وأفسح له الطريق للبحث والعمل دون قيود وتحرمه من حريته في الدولة وأن يقرأ الكتاب المقدس دون وساطة.

ثالثا الحركة العلمية :

وتناظر مع هذين العاملين عامل ثالث كان عظيم الخطر بعيد الأثر في توجيه الفكر الحديث وأعني به الحركة العلمية أي نشأة العلوم الطبيعية ودراسة الظواهر الطبيعية بالتجربة العلمية.¹

شهد عصر النهضة ولاسيما في القرن السادس عشر تقدما كبيرا في حقل العلوم الطبيعية التجريبية ، ففي العصر الوسيط لم يجر سوى تأكيد محدود عن الكيمياء أما في عصر النهضة فقد غدا الاهتمام بالعلوم الطبيعية جزءا ملازما لمتطلبات المجتمع الجديد²، هذه الحركة جاءت بأفكار جديدة بأنها تضع الأشياء تحت التجربة للوصول الى قوانين.

وهي لم تكن وليدة فراغ تاريخي وعلماء فلقد تمخضت على احياء القديم وتدشين بدايات رائعة في حقول شتى في المعرفة الانسانية وقد ادى الاهتمام بالتراث القديم الى نتائج علمية وثقافية امتد أثر تطورها العلمي الجديد الى مجالات مختلفة وأحدث انقلابا في حقول معينة وكان لعلماء الفكر الغربي الحديث دورا فعالا في الحركة العلمية حيث توصلوا الى نتائج مهمة في هذا المجال.

¹ - زكي نجيب محمود، احمد امين ، المرجع السابق ، ص38.

² - كمال مظهر احمد، المرجع السابق ، ص52.

ففي علم الفلك شاعت نظرية كوبرنيكسون (1473-1543) القائلة بأن الأرض تشكل احدى توابع الشمس ودور حولها في حين كانت الكنيسة تعتقد أن الأرض هي مركز الكون والشمس تدور حولها.¹

وقد قام عدد من العلماء فيما بعد وخاصة جوردانو بروسو وغاليلو غاليلي الايطاليين بتطوير نظرية كوبرنيكوس، فإن بروسو قد أشار الى وجود مجموعات شمسية كثيرة اخرى الى جانب مجموعتنا الشمسية والتي لا يستطيع سكان الأرض رؤيتها أكده². أما غاليلو (1564-1642) اكتشف قانون تذبذب الأجسام وقانون الاجسام الساقطة ووضع أسس قانون القصور الذاتي واكتشف البقع الشمسية وقوانين المد والجزر، قضى حياته يدافع عن نظرية كوبرنيك في دوران الأرض حول الشمس.³

وبهذا العمل والأسلوب وبحكم ما استنتجوه هؤلاء الثلاثة يعتبرون أول من دشنا بداية عزل العلوم الطبيعية عن اللاهوت ووضعوا أساس علم الفلك الحديث.

هذه الاكتشافات والتجارب العلمية التي قدمها العلماء في العصر الحديث أدت الى التقدم في علم الرياضيات والجيولوجيا وعلم الفلك وقد ساهمت في تحرير العقول من الخرافات التي كانت مسيطرة عليهم كما أن هذه الحركة العلمية التي قامت في أوروبا جعلت مسافة أو بالأحرى قطيعة بين الفكر الذي كان سائد في العصور الوسطى والفكر الجديد.

الكنيسة لم تكن تنظر الى تلك النهضة العلمية بعين القبول والرضا بل وجدت فيها خطر يهدد كيانها وهو ما دفعها الى مقاومتها بكافة الوسائل المتاحة بما في ذلك أسلحتها التقليدية.⁴

ومن بين ما توصلت اليه هذه الحركة العلمية والتغيير الذي أحدثته هي شيوع الروح العلمية في المعاهد والجامعات الأوروبية، صناعة السفن والتقدم العلمي الهائل في الدراسات الجغرافية، ازدادت الاختراعات مثل اختراع البارود والذي أدى الى هدم قلاع النبلاء، اختراع الطباعة أو بالأخص المطبعة المتحركة الذي أدى الى انتشار العلوم وتقدمها، كما حصل تقدم كبير في ميدان الطب، وبالخصوص في مجال التشريح والفسلجة.⁵

¹-ضمد كاظم وسمي، المرجع السابق، ص30.

²-كمال مظهر احمد، المرجع السابق، ص54.

³-لويس عوض، المرجع السابق، ص273.

⁴-جفري برون، المرجع السابق، ص29.

⁵-ضمد كاظم وسمي، المرجع السابق، ص55.

مما يمكن استخلاصه عن عصر النهضة في الفكر الغربي الحديث ،وعن ما أثمرت به هذه الحركات الثلاث الانسانية، والحركة الاصلاحية والعلمية ، ان النهضة تشكل نقطة وهاجة في حضارة الانسان ،وفترة مليئة بالدروس والعبر والانجازات الرائعة ،وإن هذه الحركات الثلاث قامت بالتغيير في شتى المجالات الاجتماعية ،الاقتصادية، السياسية، والتي اخرجت أوروبا من عصر الظلمات الى عصر النور ،وأنتت بالجديد مثل الاكتشافات الجغرافية ومثال ذلك اكتشاف أمريكا الشمالية والجنوبية، ومن بعد ذلك استراليا والقطبين ،ظهور دول اوروية مستقلة حديثة مثل فرنسا ،انجلترا، اسبانيا ،وظهور الطبقة البورجوازية محل الاقطاعية التي لعبت دورا في التغيرات السريعة التي شهدتها اوروبا ،التقدم العلمي وظهور العلوم الحديثة والمنهج العلمي في البحث و التأكيد على الطابع الدنيوي للعلوم والآداب ،هذه النظرة الجديدة مؤداها أن الانسان لم يخلق ليعمل لآخرته فقط ،كما هو الحال في العصور الوسطى حيث جرد الانسان من قيمته الفردية ،بل يعمل لدنياه ويتمتع بجمال الطبيعة وقيمة الحياة.

المبحث الثالث: مفهوم النهضة في الفكر العربي الحديث.

عرفت البلاد العربية تفهقرا وانحطاطا بعد سقوط بغداد 656هـ ولهذا أطلق بعض المؤرخين عصر الانحطاط على الفترة الممتدة بين سنة 656هـ، 1213هـ حيث تميزت هذه الحقبة التاريخية الطويلة التي دامت ما يقرب من سبعة قرون بالاستبداد والفتن، وخنق حرية الفكر، وتكيس الابداع من حكام يعملون المستحيل من أجل بقائهم في السلطة¹.

وفي مطلع القرن السادس عشر ميلادي فتح الأتراك العثمانيون البلاد العربية وظلت طوال القرون الثلاث الأولى من حكمهم في عزلة تامة عن العالم الخارجي وذلك لنتيجة عوامل الضعف والانحلال التي دبت في حياة العرب ونتيجة للمحن والنكبات التي توالت عليهم، وهذا كله نتيجة استبداد الحكام وطغيانهم على الأفراد.

بينما شهدت أوروبا نهضة علمية وأدبية، رافقتها اكتشافات جغرافية وحركة استعمارية ضمنت لها السيطرة على العالم الجديد وعلى العديد من أقطار العالم القديم في افريقيا وآسيا واجتاحتها في القرن الثامن عشر ثورة صناعية وأخرى سياسية واجتماعية قلبت أوضاعها رأسا على عقب، وأعطتها مركز القيادة على لعالم بأسره، بينما كانت هذه التطورات تجري في أوروبا، كان العرب منغلقيين على أنفسهم في ظل الحكم العثماني، فلا اختراع ولا تقدم في العلوم والصناعة بل جمود فكري²

كما اقتصرت العلوم عند العرب في هذه الحقبة الزمنية على المعلومات القديمة في أصول الدين والفقهاء واكتفى العلماء العرب باجتار المعلومات القديمة دون الاقدام على أي تجديد ورافق ذلك كله تفكك وانحيار في الدولة العثمانية و انحلال ولاياتها، هذا كله أدى الى تمرد عن السلطة المركزية وانتشار الظلم والاستبداد ومن بين نتائج الفساد والاضطراب.

¹ -لمحة ادبية عن بداية النهضة في العصر الحديث، جميع الحقوق محفوظة، <http://www.onfd.edu.dz>.

² - على المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، (دط)، الاهلية للنشر و التوزيع، بيروت، 1987، ص 11.

- أصبح يسود الجهل وتوقف الابداع ودب الضعف في نفوس الأفراد وهذا أدى بالدول الغربية الى احتلال العرب.

كما لعب الاحتلال دورا هاما في يقظة العرب فهو يعتبر العدو وفي نفس الوقت موقظ العرب من الظلمات الى النور ويرجع أغلب المؤرخون عصر النهضة الى حملة نابليون بونابرت العسكرية على مصر 1213هـ/1798م والحقيقة ان احتلال فرنسا لمصر بقدر ما كان مؤلما للشعوب العربية والاسلامية، فإنه أيقضها من سباتها العميق، ونبهها الى ما وصل اليه الغرب من تقدم علمي وتكنولوجي وصفه بأسلوب الهيمنة والسيطرة على الشعوب المختلفة، ومنها الشعوب العربية التي كانت تعيش في قلق وضنك وجهل تحت راية حكام يفكرون في مصالحهم الشخصية، و بقائهم في السلطة ولا يعملون على تقدم وازدهار أوطانهم الا القليل.¹

وحملة نابليون فتحت الباب الواسع للمصريين للتفكير والنهوض من الجهل والجمود الفكري الذي كان يطغى عليهم لذا فهذه الحملة أتت بآثار ايجابية للعرب.

ويعتبر محمد علي والي مصر وحاكمها من بين المساهمين في النهضة العربية الحديثة لأنه هو الذي أدخل مصر والبلاد العربية في العصور الحديثة وأنشأ دولة وحكومة ثابتة وطيدة مستقلة شملت في بعض الحالات معظم البلاد العربية وهو الذي أنبت ثقافة جديدة وفكرا جديدا، وأن أهم ما فعله هو أنه حرر البلاد من المماليك و الاقطاعيين، وبعد أن تصدى لتدخلات الدولة الأجنبية وواجه القوات البريطانية و هزمها، أدخل مصر والعرب في عصر التصنيع الباب الواسع للدخول في الحداثة والخروج من التخلف.

وكما هو متضح من شخصية محمد علي فإن هذا الرجل يعتبر أول من أدخل النهضة في العرب ومصر خاصة، كان طوال مسيرته يخرج العرب من حالة السيطرة والجمود الفكري الى شعب متعلم ويستطلع على كل الأمور فنراه قد عمل مشروعا نهضويا كبيرا، ومضى فيه وحقق في عقود قليلة من الزمان ما يثير الدهشة والاعجاب، و ما يثبت ان أحوج ما تحتاجه الشعوب لتحقيق المعجزات هو الادارة الحازمة والارادة الصادقة ومشروع محمد علي النهضوي هو المشروع النهضوي العربي الأول وهو الأساس أو القاعدة للمشروع العربي النهضوي الذي عبر عنه مفكرون كثيرون.²

¹ -لمحة ادبية عن بداية النهضة في العصر الحديث، جميع الحقوق محفوظة، <http://www.onfd.edu.dz>

² -معن زيادة، معالم عن طريق تحديث الفكر العربي، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، عدد115، جويلية1987، ص136، 135.

ونظرا لطول الفترة الزمنية لحكم مُجَّد علي فقد شهدت سنوات حكمه انجازات مهمة وقام بعدة اصلاحات التي بدأ ظهورها انطلاقا من ترسيخها في مصر وتمثل هذه الاصلاحات في:

تحديث الجيش المصري: أجرى مُجَّد علي سلسلة من الاصلاحات العسكرية لتأسيس جيش عصري أظهر كفاءة قتالية عالية في معظم المعارك التي خاضها ولعل أبرز انجازاته التي كان لها الصدى الكبير في مركز السلطة قيامه بتصفية دموية للمماليك في مصر.

اصلاحات اقتصادية: الغى مُجَّد علي نظام الالتزام في جباية الضرائب وأنجز المسح الزراعي الشامل لكامل الاراضي المصرية عمل كذلك على بناء قاعدة صناعية متطورة.

اصلاح التعليم: اهتم مُجَّد علي اهتماما جديا بتشجيع التعليم على المستويات كافة، فأنشأ عدد كبير من المدارس الابتدائية في جميع المناطق كما فتح الكثير من المدارس الثانوية في المدن والقصبات الكبرى، ولما كان التعليم العالي لا يزال حكرا على الدول الاوروبية سارع الى ارسال عدد من البعثات العلمية الى جامعاتها وخاصة المعاهد الغربية. اصلاحات اجتماعية: فتح مُجَّد علي باب الهجرة واسعا الى مصر بهدف زيادة الكثافة السكانية التي تساعد على بناء دولة قوية على أسس جديدة، كما أنه الغى التمييز بين المصريين وغير المصريين في مختلف قطاعات العمل.¹

ان بروز شخصية مُجَّد علي كحاكم قوي بعد إطاحته بحكم المماليك، وبعد قيامه بجملة من الاصلاحات في مصر فإنه يعتبر قد قفز بالبلاد العربية قفزة كبيرة، و أدخلها في عصر الحداثة والتصنيع، عصر العمل و الانقطاع عن العالم ويعتبر كذلك المحرك النشط بفتح أبواب جديدة.

¹ - مسعود ظاهر، النهضة العربية و النهضة اليابانية، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، عدد 252، ديسمبر 1999، ص 81، 85، 89، 90.

وكما لمحمد علي العديد من الاصلاحات قامت في مصر عندما لاحظ الانغلاق الفكري، والوهم الذي كان يعيشه المصريون كذلك نشأت حركات فكرية تدعو الى التقدم والنهضة ،برز فيها العديد من الرواد من بينهم رفاة الطهطاوي ،خير الدين التونسي.

رفاعة الطهطاوي 1801-1873 : يحتل رفاة الطهطاوي في تطور الفكر المصري الحديث مكانا لامثيل له فإنتاجه غزير وعمله ضخم.¹

كان اندهاشه بظواهر الحضارة الفرنسية في المآكل والمشرب، واسلوب التعامل والنظام السياسي الذي يحدد دستور ينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وما يتمتع به الشعب الفرنسي من حرية مقارنة بشعوب الشرق التي ترضخ تحت عبودية حكام طغاة،ومن هنا انطلق بأراء سياسية ونشر العديد من الكتب والمجلات ،²منها كتاب "تخليص الابرز في تلخيص باريز" أو "الديوان النفيس بإيوان باريس" يتحدث فيه عن اعجابه بل الافتتان بأنظمة أهل فرنسا وطرائق حياتهم.³

كما أنه نادى الشعب بأنه يجب عليه أن يشترك في عملية الحكم وبأنه من الواجب الغاية ،وان الشرائع يجب أن تتغير بتغير الظروف وقد قال بأن قيام الدولة وانهايارها يخضعان لأسباب معينة وأن هذه الأسباب تكمن في روح الأمة وان محبة الوطن أساس الفضائل السياسية ،⁴ ويتبين أنه أول من خطى خطوة في هذا السيل مؤكدا أنه لا فرق كبير بين مبادئ الشرع الاسلامي ومبادئ القانون الطبيعي التي تركز اليها قوانين اوروبا الحديثة.⁵

¹ - عزت قربي ،العدالة و الحرية في فجر النهضة العربية ،سلسلة كتب عالم المعرفة ،الكويت ،عدد30، جوان 1980،ص21.

² - نبيل عبد الجبار ،المشاريع الوحدوية ،مكانة العقل في الفكر العربي ،ط2،مركز دراسة الوحدة العربية ،1998،ص

³ - عزت قربي ، المرجع السابق ،ص23.

⁴ - البرت حوراني،الفكر العربي في عصر النهضة،ترجمة:كريم عزقول،ط4،دار النهار للنشر،بيروت ،دت،ص93.

⁵ - المرجع نفسه ،ص99.

ورفاة من خلال كتابه "تخليص الابريز" اراد ان يوضح فكرة اساسية سياسية ومركزية وهي فكرة الحرية التي رأى منها جانب مهما لتخليص العرب من الغفلة التي هم فيها كما أن هذه الفكرة تحتل في "المناهج" وفي "المرشد" مكان القلب من الحياة السياسية، حيث يرى أن صلاح ورشاد المصريين لن يكون إلا عن طريق الحرية. لذا فالحرية عند الطهطاوي تظهر شرطا ضروريا للمدينة ذاتها فقد ادرك من خلال معرفته المباشرة بالتاريخ الفرنسي الأوروبي ان سعة دائرة التمدن في تلك الدول انما نشأ من الحرية وخاصة حرية التعبير وحرية النشر.¹ وما يمكن قوله من خلال هذا أن الطهطاوي حث على ضرورة تعاطي العلوم العقلية التي اعتبرها سر تقدم اوربا وحاول تطبيق مشاهدته للغرب على مجتمعه المحلي في مصر، ساعيا الى التوفيق بين مواد الدستور الفرنسي وبعض قوانين الشريعة الاسلامية.

لم تذهب دعوة الطهطاوي للتحديث سدى، فبعد بضع سنوات ظهر نجم جديد في شمال افريقيا يدعو الى النهضة والعمران ولم تكن نظرتة للتقدم تماثل نظرة الطهطاوي فحسب ولكنها كانت خطوة نحو التحقيق والفعل. خير الدين التونسي 1810-1890 كان رجل دولة قبل أن يكون رجل فكر، ومن خلال معرفته بأمر السياسة وخبايا الحكم وجوانب التخلف المترامية في اركان الدولة العثمانية، صاغ كتابه الخطير "أقوم المسالك في معرفة امور الممالك" فكان بمثابة برنامج عمل لنهضة الامة الاسلامية، كما انه التزم بذلك الاطار الذهبي لمشروع النهضة الذي صاغه رفاة، فكان من دعاة الخروج من عزلة القرون الوسطى ونصيرا للتلميذ عن الحضارة الأوروبية فيما لا يتعارض مع الشريعة الاسلامية، فهو يدعو للاختلاط بالأوروبيين والتعلم منهم.² يبدأ خير الدين مشروع لبناء دولة اسلامية حديثة بإرساء مفهوم راسخ للعدل³، والعدل عند خير الدين يعني عدم الافتكان عن الحقوق ومن الامور الملازمة للعدل عنده هو الأمن المتولد عن حس الامارة، ويقول في نص جامع عن العدل "وانما بلغوا اي الممالك الاوروبية تلك الغايات والتقدم في العلوم والصناعات بالتنظيمات المؤسسة عن العدل السياسي وتسهيل طرق الثروة واستخراج كنوز الأرض بعلم الزراعة والتجارة وملاك ذلك كله الأمن والعدل اللذان صارا طبيعة في بلدانهم.⁴

¹ - عزت قرني، المرجع السابق، ص56.

² - صلاح زكي احمد، اعلام النهضة العربية الاسلامية في العصر الحديث، ط1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001، ص29.

³ - المرجع نفسه، ص32.

⁴ - عزت قرني، المرجع السابق، ص116.

أما حديثه عن الدعامة الثانية في بناء دولة حديثة فهو يتمثل في موضوع الحرية ويذهب في ذلك الى القول بأن ثمة شيئين مرتبطين بالحرية، الاول والاهم هو نقل نظم الحرية الأوروبية الى المواطن المسلم الحاكم والمحكوم وترغيبه فيها والثاني هو الوسيلة¹، وهو يقسم الحرية الى قسمين حرية شخصية وهي اطلاق التعرف للإنسان في نفسه ومع امته عن نفسه، ومساواته لأبناء جنسه في الحقوق والواجبات، وحرية سياسية وهي المشاركة في نظام الحكم و المداخلة في اختيار الأصلاح².

خير الدين من خلال ارتكازه على فكرة الحرية والعدل انما هو يريد توضيح ان اي اصلاحات سياسية ناجحة لا بد أن تكون مؤسسة على العدل والحرية وهو يعتبرهما السبب في تحصيل التقدم والابتعاد عن التخلف ويتضح من خلال تبيان اصلاحات رفاة الطهطاوي وخير الدين التونسي. لقد تشابهت اوجه كثيرة بينهما سواء على صعيد الفكر أو الهدف او الوسيلة، فكلاهما تلقى الصدمة الحضارية الاوروبية بروح علمية مستنيرة، وكان الهدف من إدراكهما لأبعادهما هو تطوير البلاد وإرساء اسس النهضة في عموم الأمة³.

واذا كنت قد تحدثت عن رائد النهضة العربية المفكر رفاة الطهطاوي ومن عاصره من أفراد جيله خير الدين التونسي، الذي كان لهما دور فعال في ايقاظ العرب من التخلف الذي سادهم من خلال حركتهما الاصلاحية السياسية، فلا بد من الحديث عن الحركة الاصلاحية الدينية التي رافقت تلك الحركة السياسية بمعلمها الاول و باعث يقظتها جمال الدين الافغاني وتلميذه مُجدِّ عبد ومن زامنه في ذلك الوقت كرشيد رضا.

¹ - صلاح زكي احمد، المرجع السابق، ص33.

² - احمد امين، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، (دط)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دت، ص164.

³ - صلاح زكي احمد، المرجع السابق، ص29.

اولا:جمال الدين الافغاني كانت لثقافته الاسلامية والغربية والتجربة التي عاشها في عدة أقطار اسلامية ،اثرها الواضح في آرائه في التجديد الديني والاصلاح السياسي والاجتماعي ويبرز ذلك في تحليله اسباب تدهور الحضارة الاسلامية والضعف السياسي والانحلال الاجتماعي اللذين يعانيهما المسلمون،¹ ويمكن توضيح لاصلاحات الدينية والسياسية التي قام بها جمال الدين الافغاني أكثر في الفصل الثاني والثالث من مذكرتي .

مُجَّد عبده 1840-1950 فكانت نقطة الانطلاق في تفكيره هي الانحلال الداخلي والحاجة الى التجديد في الاسلام، لم يبحث عن الخلاص الفردي بل كان يسعى الى اقامة مجتمع صالح والمجتمع الصالح المثالي الذي اراده مُجَّد عبده هو مجتمع يسوده العقل لا القانون ذلك أن المسلم الحق في رأيه هو الذي يعتمد على العقل في شؤون الدين والدنيا.²

وتتمثل دعوة مُجَّد عبده في الاصلاح والتجديد الديني وتطهير الاسلام من البدع والضلالات والعودة الى نقائه الاول ؛مهاجمة التقليد والمقلدين كما فعل استاذة جمال الدين الافغاني ،اعادة النظر في عرض المذاهب الاسلامية على ضوء القرن الحديث،أو التوفيق بين الدين والعلم كما انه دعا الى الدفاع عن الاسلام ضد التأثيرات الغربية وضد حملات المبشرين المسيحيين خاصة، دعوته الى اصلاح التعليم العالي الاسلامي.³

ويرى مُجَّد عبده انه لايمكن للمسلم ان ينهض النهوض اللائق بدين الا ببدءا من استعداده للدخول للآفاق اللامحدودة من العلم والعمل التي شرعها له الاسلام.⁴ وهكذا ظل مُجَّد مخلصا لهذا النسق ومدافعا في كل اصلاحاته.

رشيد رضا1865-1935 :اراهه في التجديد الديني كانت تقوم على استقلال الفكر وجدية العقل في العلم، واجتناب تقليد العلماء ،ابطال البدع والخرافات والتقاليد والعادات التي افسدت العقائد والاخلاق والاعمال روجت في المسلمين اسواق الدجل والخرافات ،كما أنه قام بإصلاح نظام التربية والتعليم اذ وجه اهتمامه بشكل خاص الى الازهر مطالبا بإصلاح التعليم فيه متما بذلك ما بدأ به استاذة مُجَّد عبده، دافع عن الاسلام بالرد على الملاحدة ودحض مزاعمهم وحججهم ،ويقتضي ذلك التدقيق في صحة الروايات المختلفة فيما يتصل بالاحاديث، لانتقاء الاحاديث الصحيحة واهمال الاحاديث الموضوعية ،قام بالوعظ والارشاد للمسلمين في مساجدهم ومجامعهم وقراهم ،كما دعى الى الاسلام في العالم وذلك بعد تهيئة جيل من المتقنين ثقافة دينية سليمة.¹

¹ - علي المحافظة، المرجع السابق، ص72.

² - المرجع نفسه ص81.

³ - المرجع نفسه ص99.

⁴ - صلاح زكي احمد، المرجع السابق، ص68.

كانت دعوته الى التجديد مشابحة لدعوة استاذه مُحمَّد عبده يرى أنه اذا فهمت تعاليم الاسلام وقواعده الخلقية وطبقتهما فإنها تؤدي بك الى الفلاح لا في الآخرة فحسب بل في هذه الدنيا ايضا -الفلاح في جميع اشكاله المعروفة في العالم، القوة والهيبية والتمدن والسعادة، اما اذا لم تفهمها فإنها تقضي بك الى الفساد والبربرية.²

اما عبد الرحمان الكواكبي 1855-1902 فهو يشبه اي مصلح ديني يبحث عن اسباب فساد الامة فيجدها فيما يجد فساد الاسلام.³

يبدأ مشروعه الاصلاحى الدينى اولا في مصارعة الاستعباد وقهر الاستبداد برؤية اسلامية ناصعة بالغة النقاء، فهو يرى ان القرآن الكريم مشحون بتعاليم امارة الاستبداد واحياء العدل و التساوي وهو كذلك يدعو لشن هجوم ساحق ضد هذا الظلال وتلك الخرافات.

وبهذا الوضوح يحدد الكواكبي مدى رفض الدين القويم للاستبداد ولكن يحدد جانبين متكاملين في تلك المعركة، الجانب الاول يتعلق بدور العلماء فيرى ان العلماء يتحملون عبئا كبيرا في مقاومة الاستبداد، فالمستبد عاشق للخيانة والعلماء منبهون و محذرون و للمستبد اعمال و مراسم لا يفسدها عليه الا العلماء كما انه يرى في الديمقراطية سلاح في مواجهة المستبد بل و طريقها الى التقدم.⁴

الكواكبي يرى انه اذا حاربنا المستبد و الطاغية، فإنها تنشأ حكومة ناجحة وافراد احرار يتمتعون بكل حقوقهم في الدول.

وما يمكن استنتاجه من خلال هذه الاصلاحات التي قدمها هؤلاء الرواد يتبين ان هدفهم كان العمل على تكوين التقدم والنهوض من حالة مجتمعية ضعيفة الى حالة أرقى بمساعدة الدول الخارجية، كما ان هذه الحركات الاصلاحية كانت تقوم على تأكيد الذات واحياء اللغة العربية لأنها لغة الدين.

وكما قد وضحت الدور الذي أبرزته هذه الحركات الاصلاحية مع أبرز أعلامها فيني قد وصفت دور جمال الدين الافغاني كتلميح أو ممهدة لهذه الحركات فلقد بذل جمال الدين الافغاني مجهودا كبيرا من خلال الحركات التي قدمها للنهضة العربية الحديثة وبما أنه أول باعث لهذه الحركات ففيما تتمثل أهم الاصلاحات التي قدمها جمال الدين الافغاني خلال عصر النهضة ؟

¹ - علي المحافظه، المرجع السابق، ص90.

² - البرت حوراني، المرجع السابق، ص93.

³ - احمد براقوي، محاولة قراءة على النهضة، ط2، الاهالي للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، 1999، ص111.

⁴ - صلاح زكي احمد، المرجع السابق، ص53، 54.

الفصل الثاني

الاصلاح الديني لجمال الدين الافغاني

المبحث الاول: الالتزام بمبادئ الاسلام و الاقتداء بسلف الامة

المبحث الثاني: التوفيق بين العلم و الايمان

تمهيد:

ان بداية انطلاق اي مصلح ديني هي ضرورة اصلاح حال الامة التي تبتعد شيئاً فشيئاً عن الاسلام، فالمصلح الديني يبدأ من احساس واقعي بالعالم، العالم الذي يعيش فيه بعيد عن تقدم وتطور العالم الذي خرب كل مظاهره بما فيه الاسلام، فإن خراب الاسلام كما يرى المصلح الديني الاسلامي النهضوي هو خراب مدمر ونجد من بين المصلحين الدينيين جمال الدين الافغاني الذي كرس معظم حياته من اجل اصلاح حال هذه الامة الاسلامية، ويرى بأن ثمة ونتاج والابتعاد عن روح الاسلام وجوهره هو الانحطاط وان طريق التقدم هو العودة الى الاسلام، في براءته الاولى، ويرى بأن اصلاح الدين مطلب ضروري ومسعى التوجه نحو مشروع حضارة، او نهضة جديدة وان اصلاح الدين يمهد العقل العربي نحو مسار التقدم، وصياغة الدين صياغة عقلية اساسية جديدة تمهد للإنسان والعلم ركائز النهضة المستقبلية، فالاصلاح عند الافغاني مطلب جوهرى، نجد الطريقة التي انتهجها الافغاني للعمل على اصلاح الدين داخلية، وذلك بنزع كل الخرافات والبدع التي انتشرت في بقاع الاسلام وغطت التعاليم الاسلامية بلباس الاوهام والسبب في ذلك حسب الافغاني هو امراء الشرق واولئك الذين يدعون العلم وماهم بعلماء وبذلك دخلوا الاسلام من التعاليم الهدامة، والعقائد الباطلة التي لا تمد للإسلام بأي صلة والتي تدعو المسلمين الى الخمول والرضا بالخضوع والعبودية لغير الله، ولذلك نراه يكافح ذلك بتطهير الدين وتوضيح القرآن توضيحا صحيحا والسؤال الذي يطرح بهذا الصدد. فيما يتمثل اصلاح جمال الدين الافغاني

الديني؟

المبحث الأول: الالتزام بمبادئ الإسلام والإقتداء بسلف الأمة

ان نخصة الامم عند الافغاني وتحقيق تقدمها لا تتحقق في العالم الاسلامي الا بالدين الاسلامي، دين قويم شامل لأنواع الحكم كافل لكل ما يحتاج اليه الانسان من مبادئ الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها وينادي بمعتقديه الى جميع فروع المدينة، ويصف الافغاني ما اعترى الأمة الاسلامية من خمول وضعف واستعمار واسترقاق وانحيار وتفكك نظمها وتفرق كلمتها وضياع وحدتها وسيادتها ويرى انه لا سبيل الى النهوض سوى التمسك بقواعد ديننا وقرآنا ولا يمكن التخلص من تأخرنا الا عن هذا الطريق.¹

يرى بأن سبيل النهوض من هذا التأخر هو الالتزام بقواعد الدين الاسلامي لأن فيه سبيل الهداية ولم شمل المسلمين والابتعاد عن كل ما طرأ عليهم من تشتت وفساد، لهذا يقول عن الدين الاسلامي هو قوام الامم وبه فلاحها وفيه سر سعادتها وعليه مدارها والسبب المفرد لسعادة الانسان.... وان معشر المسلمين اذ لم يؤسس نهوضا عن قواعد ديننا وقرآنا، فلا خير لنا فيه ولقد كان الخلل والهبوط الذي اعترى حياتنا من طرح اصول هذا الدين ونبذها ظهريا والعلاج انما يكون برجوع الأمة الى قواعد دينها، والاخذ بأحكامه عن ماكان في بدايتها ولاسيبيل الى اليأس والقنوط، فإن جراثيم الدين متأصلة في النفوس والقلوب مطمئنة اليه، وفي زواياها نور خفي فلا يحتاج القائم بإحياء الأمة الا نفخة واحدة يسري نفسها في جميع الارواح لأقرب وقت، فإذا قاموا وجعلوا اصول دينهم الحققة نصب أعينهم فلا يعجزهم ان يبلغوا منتهى الكمال الانساني ومن طلب اصلاح الأمة بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططا ولن يزيدها الا نحسا ولن يكسبها الا تعسا.²

ان الدين الاسلامي عند الافغاني هو صلاح الأمة الواحدة وهو المخلص من كل مايسود من طباع واخلاق رذيلة تمس الامم الاسلامية وتنتهي بها الى الانحيار والزوال.

¹-د.فريال حسن خليفة، المرجع السابق ص 61.

²-د.مجد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الاسلامي و الحداثة العربية، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2003، ص 21.

وهذا ما أكد عليه مُجدَّ عبده تلميذه في قوله عن الدين الاسلامي لقد اشربت أنفس الأمة الإنقياد الى الدين حتى صار طبعا فيها فكل من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذرا غير صالح للتربة التي أودعت فيها، فلا ينبت ويضيع تعبته ويحقق سعيه،¹ فسيبيل الاصلاح عن طريق الدين هو السبيل الاصح حسب الافغاني فهو سر سعادة المسلمين وسبب في التجديد وصلاح الاعمال وتهذيب النفوس.

لأن الدين الاسلامي كما يوضحه الافغاني هو دين التوازن والإعتدال لأنه يجمع بين القطبين المتعارضين ليصبحا غير متعارضين الدنيا والاخرة، السماء والارض، الجسد والروح بلا إفراط ولا تفريط، وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، والشهادة تعني النموذج والامثلة نظريا وعمليا كما تعني النمط الرفيع وتلك غاية سعى اليها كل الانبياء والصالحين،² لهذا جعل الافغاني الاصلاح الديني يكون ركيزته الانسانية المؤدية لنهضة الامم في كل المجالات لأن الإسلام وحده وما يملئه علينا من نصوص يعرف الانسان هويته الدينية، بقوله نظام او مجموعة من الحقائق العامة التي لها تأثير في تكييف الخلق اذا صدق الاعتقاد بها وفهمت فهما واضحا قويا.³

فالدين في جوهره هو الايمان والايمان كالطائر يعرف طريقه الخالي من المعالم غير مسترشد بالعقل ولأن الايمان امر أكثر من مجرد الشعور

فلذا فإن هدف القرآن الرئيسي هو ان يوقظ في نفس الانسان شعور أسمي بما بينه وبين الخالق وبين الكون من علاقات متعددة،⁴ فالأفغاني يرى في الاسلام دين كوني جاء للعالم أجمع وهو قادر تمام القدرة بما فيه من قوة روحية عن ملائمة الظروف المتغيرة في كل جيل.⁵

¹ - مُجدَّ عمارة، المرجع السابق، ص 21.

² - نعيم الباني، حركة الاصلاح الديني في عصر النهضة، ط 1، مركز الانماء الحضاري، حلب، 2000، ص 55.

³ - مُجدَّ اقبال، تجديد التفكير الديني في الاسلام، ترجمة عباس محمود، ط 2، دار الداية للطباعة و النشر و التوزيع، 2000، ص 18.

⁴ - المرجع نفسه، ص 18.

⁵ - نعيم الباني، المرجع السابق، ص 57.

الأفغاني كان يريد ان يكون لهؤلاء الضعفاء وهم المسلمون دولة قوية اخذه بأسباب المدينة وال عمران الموصلة الى

العزة والاستقلال مع مراعاة تعاليم الاسلام الاساسية.¹

ويرى بأن تدهور الحضارة الاسلامية وضياع مجد المسلمين هو إهمال ماكان سببا النهوض والمجد عزة الملك وهو ترك

حكمة الدين والعمل بها ،وفي رأيه ان استرجاع عزة المسلمين وقوتهم رهن بالعودة الى دينهم النقي.²

يقول في تعاليم الاسلام ان الشجرة اذا ازداد نموها واشتد التفافها وكثرت اوراقها وتشتت اغصانها قل ثمرها

وتضاءلت علتها والبستاني الحاذق يعمد فيبتز ويشذب ويقلم ويهذب، ويبقي عن بعض اصولها فيتسرب الغذاء الى

هذه الاصول وحدها وهكذا القرآن يجب ان تنصرف هم المصلحين وتنمية شعور المسلمين وانما كان هذا لان

تزاحم الامم عن الحياة في هذا العصر استأثر بالوقت، فلم يبق من الثقافات الدينية والدراسات الروحية الا القليل

فيجب اغتنام القليل وتسخيره في خدمة القرآن فيخفف الحمل وتسير السفينة باسم الله.³

الافغاني يريد للمسلمين ان يكونوا ملتزمين بمبادئ الاسلام الحق وان يفهموا القرآن وحده وينبهم بأنه حل لكل

امة عمها الركود والجمود فهو اساس كل نهضة والسبب في الهداية والعمدة في الدعاية.

فالاسلام كما هو معروف مجموعة تعاليم حواها القرآن الكريم والحديث الشريف والمصادر الاخرى المعروفة ،ولكن

الاسلام ايضا عنوان لظاهرة تاريخية في العالم الواقعي وعنوان للحركة التي قامت نظام القضاء وانشأت المدن والدول

والحضارات فالاسلام باعتباره رسالة او ظاهرة تاريخية ليرفض الركود والتخلف.⁴ لذا دعى الأفغاني الرجوع الى

الاسلام والالتزام بمبادئه.

¹ -عبدالقادر المغربي، جمال الدين الافغاني ذكريات و احاديث، ط3، دار المعارف للنشر و التوزيع، بيروت، دت، سلسلة اقراء، القاهرة، ص16

² - علي المحافضة، المرجع السابق، ص73

³ -عبد القادر المغربي، المرجع السابق، ص64

⁴ - علي عزت بيحوفيتش، عوائق النهضة الاسلامية، سلسلة مقالات، ترجمة عمر ساهيتش، ط1، جمعية قطر الخيرية للنشر، الدوحة، 1996، ص9

الإسلام سعى إلى تحقيق عالمين: خارجي وداخلي، أخلاقي وتاريخي، هذه الدنيا والآخرة. لذلك لا يمكن تعريف الإسلام إلا بهذه الثنائية، يطالب الإسلام بالامتثال لله وللعمل الصالح ولكن رسالته الوحيدة لمجابهة الشر والبغي والاعداء والأمراض وقلة النظافة والخرافة،¹ فالإسلام كما بينه الأفغاني يطالب بالشجاعة ونشر التسامح والأخوة بين الناس والدفاع عن المظلوم والسر في النجاة من هذه الدنيا هو الدعوة إلى القرآن والتبشير به من أكبر ما يطمح إليه الأفغاني في حياته. كان يتلو على من يرى فيه المقدرة على الدعوة قوله تعالى «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»². الآية: 104 سورة آل عمران .

الأفغاني في إصلاحه الديني وانهاض الأمة الإسلامية، ركز على الإسلام لارجاع عزة المسلمين ومجدهم وذلك بالرجوع إلى القرآن وحده والالتزام بمبادئه.

كما أن إصلاحه الديني يقوم على الاقتداء بسلف الأمة الإسلامية أي الإحياء ويرى بأن الإحياء الديني سبيل النهضة ومحورها الأساسي وهو مستقبل هذه الأمة وهو نخصتها الحقيقية، عن أماكن سببا في نوحها الأول عهد الخلفاء الراشدين وهو كفيل بالقضاء على الضعف والتخلف والاستكانة للغرب، وخلق القدرة على المواجهة والتحدي الحضاري.³

الأفغاني ربط إصلاحه الديني بالإحياء والذي يرى فيه الأساس في كل نهضة إسلامية فمن خلاله يكون للمسلمين مستقبل مبني على التطور والتقدم ومواجهة كل العراقيل والمشاكل التي تمسهم.

ويعني الأفغاني بالإحياء الرجوع إلى قواعد الدين والاختصاص بأحكامه عن أماكن في بدايته وإرشاد العامة بمواعظه الواقعية بتطهير القلوب وتهذيب الأخلاق.

¹ - علي عزت بيجو فيتش، المرجع السابق، ص 9

² - عبد القادر المغربي، المرجع السابق، ص 60

³ - فريال حسن خليفة، المرجع السابق، ص 62

وايقاد نيران الغيرة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الأمة .ولأن جرثومة الدين متأصلة في النفوس بالوراثة من احقاب طويلة ،والقلوب مطمئنة اليه وفي زواياه نور خفي من محبته فلا يحتاج القائم بإحياء الامة الا ال نفخة يسري نفثها في جميع الارواح لأقرب وقت فإذا قاموا لشؤونهم ووضعوا أقدامهم عن طريق نجاحهم وجعلوا اصول دينهم الحقنة نصب اعينهم فلا يعجزهم بعد ان يبلغوا بسيرهم منتهى الكمال الانساني.¹ بين الافغاني ان المسلمين لو استقاموا وإتبعوا سيرة السلف الصالح لما دب فيهم الضعف لو اتبعوا ماينص عليهم دينهم لكانوا خير امة في كل شيء ، كما يؤكد على ان الدين الاسلامي قادر تمام القدرة بما فيه من قوة روحية على ملائمة الظروف المتغيرة في كل جيل.

وللرجوع الى سلف الامة يقول الافغاني لابد من حركة دينية هدفها الاول هو بعث الدين على كل ماكان في البدء ولهذا البعث مقوماته وشروطه يحددها الافغاني في كتابه الرد على الدهرين.²

كتاب الرد على الدهرين هو رسالة الفها الافغاني باللغة الفارسية عندما احس بالخطر الذي سيحل على العقيدة الدينية من خلال المذهب الطبيعي ، الشيخ الافغاني له من لسان الصدق ورفيع الذكر مالا يحتاج معه الوصف فرسالته قد جمعت لإرغام الضالين وتأييد عقائد المؤمنين ،مالم يجمعه مطول في طول وحوث من البراهين الدامغة والحجج البالغة مالم يحوه مفصل على تفصيله .

¹ - فريال حسن خليفة ،المرجع السابق ،ص63

² - فريال حسن خليفة ،المرجع نفسه،ص63

كما ان هذه الرسالة تنقسم الى قسمين اختص أولها ببيان حقيقة المذهب الطبيعي ونشأته التاريخية وإختص ثانيها ببيان ان الاسلام هو افضل الاديان ،بدأ الافغاني رسالته هذه بالآية الكريمة «فبشر عبادي الذي يستمعون

القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب» الآية 18 سورة الزمر .

يرى بأن الدين قوام الأمم وبه فلاحها وفيه سعادتها وعليه مدارها وذكر النيشرية قائلاً بأنها جرثومة الفساد. وارومة الاداد وخراب البلاد وبها هلاك العباد.¹ الافغاني يوضح هنا حقيقة مذهب النيشرين وبيان حالهم وماهو هدفهم.

شاع لفظ النيشرية حسب الافغاني حتى طبق البلاد الهندية في هذه الأيام واصبحت هذه الكلمة في المحافل سيارة في المجمع، وللعمامة والخاصة، فيها مذاهب وهم وطرائق وهم، فالغالب منهم يخبط عن بعد من حقيقتها، في غفلة من اصل وضعها، لهذا رأيت من الحق ان اشرح مفهومها وإكشف المراد منها، وارفع الستار عن حال النيشرين من بداية أمرهم وأعرض للناشرين شيئاً من مفاسدهم وما الحقوا بالنوع الانساني من المضار التي خبت أثرها وساء ذكرها، مستندا على التاريخ الصحيح آخذا بالبرهان العقلي بدليل يثبت ان هذه الطائفة على اختلاف مظاهرها لم يفش رأيها في امة من الامم إلا اذا كان سببا في إضمحلها وإنقراضها.²

الافغاني يرى ان هذه الطائفة تسعى الى خراب والدمار وافساد الامة في اخلاقها وذلك بنشر كل التعاليم المنافية للدين الاسلامي والمهدمة له في كل الامور.

كلمة النيتشر (الدهريين) اسم للطبيعة وطريقة وطريقة النيتشر هي تلك الطريقة الدهرية التي ظهرت ببلاد اليونان في القرن الرابع والثالث قبل ميلاد المسيح ومقصد ارباب هذه الطريقة محو الاديان ووضع اساس الإباحة والإشتراك في الاموال بين الناس عامة.³

¹ - جمال الدين الافغاني، الرد على الدهريين، نقلها من الفارسية الى العربية صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده، ط3، مطبعة

الموسوعات، مصر، 132، ص5.

² - جمال الدين الافغاني، الشيخ محمد عبده، الاثار الكاملة - رسائل في الفلسفة و العرفان، جزء 2-3، تقديم السيد هادي خسروشاهي، ط1، مكتبة

الشروق الدولية، القاهرة، 2002، ص134

³ - المصدر نفسه، ص132

فالنيشيرية كما وصفها الافغاني وشرح طريقتهم والتي رأى بأنهم اينما حلوا في مكان كان مبتغاهم هو الخراب والدمار وزرع الفساد بين الناس وجعلهم يسلكون طريق الإباحة والظلم والابتعاد عن مكارم الاخلاق التي نص عليها الدين الاسلامي والتي سعى جمال الدين الافغاني الى تبيانها للامة الاسلامية، وان في الدين صلاح الأمم ونهضتهم، والتي تسعى الدول الغربية للقضاء عليها من خلال تشويه صورة الاسلام.

وبهذه الطريقة، تجلّى للأفغاني انه لا نتيجة لمقدماتهم سوى فساد المدينة وإنتقاض بناء الهيئة الاجتماعية الانسانية، اذا لا ريب في ان الدين مطلقا هو سلك النظام الاجتماعي، ولن يستحكم اساس للتمدن بدون الدين البتة واول تعليم لهذه الطائفة اعدام الاديان وطرح كل عقد ديني، وأما عدم شيوع هذه الطريقة وقلة سلوكها، فبسببه ان نظام الألفة الانسانية هو من آثار الحكمة الالهية السامية التي كانت له الغلبة على أصولها الواهية.¹

يقول الافغاني ان المؤرخون اثبتوا أن حكماء اليونان انقسموا في القرن الرابع والثالث قبل المسيح الى فئتين:

-الفئة الاولى: ذهب الى وجود ذات مجردة عن المادة والمادة مخالفة للمحسوسات في لوازمها منزهة من لواحق

الجسمانية وعوارضها وأثبتت سلسلة الموجودات مادية مجردة تنتمي الى موجود مجرد واحد من جميع الوجوه، واشتهرت هذه الطائفة بالتألهين <الخاضعين لله> منهم فيثاغورس، سقراط و افلاطون.²

هذه الفئة حسب الافغاني ليست منافية لما جاء به الاسلام لانها تثبت بأن لهذا الوجود خالق و مسير للكون وهو

الله سبحانه وانه خالق كل شيء.

¹ -جمال الدين الافغاني، الشيخ محمد عبده، المصدر السابق، ص132

² - جمال الدين الافغاني المصدر السابق، ص6

-الفئة الثانية : يرى الافغاني بأنها تنفي كل موجود سوى المادة والماديات وإن وصف الوجود محتص بما يدرك بالحواس الخمسة لا يتناول شيئاً وراءه، عرفت هذه الطائفة بالماديين ولما سئلوا عن منشأ الاختلاف في صور المواد، نسبته الاقدميون منهم الى طبيعتها واسم الطبيعة من اللغة الفرنسية (ناتور) وفي الانجليزية (نيتشر) ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند العرب بالطبيين الاول من حيث هي طبيعية والثاني من حيث هي مادية.¹

هذه الطائفة الاخيرة الماديين اختلفوا فيما بينهم لذا فالأفغاني في كتابه الرد على الدهريين يبين منشأ كل فرقة ونظريتها مبينا الاختلاف الحاصل بينهم.

اختلف هؤلاء بعد اعتماد أصلهم هذا في تكوين الكواكب وتصوير الحيوانات وانشاء النباتات.²

*الفريق الاول : ذهب الى وجود الكائنات العلوية والسفلية ونشأت المواليده هو من الاتفاق واحكام الصدفة، الافغاني يرى كأنما ادت لهم سخافة الفهم الى تجويز الترجيح بلا مرجح وقد إحالته بداهة العقل ورأس القائمين ديمقراطيس ومن آرائه أن اجمع الأرضيات والسماويات مؤلف من اجزاء صغار صلبة ومن حركتها ظهرت اشكال الاجسام.³

*الفريق الثاني: يرى بأن الاجرام السماوية والكرة الارضية كانت على هيئتها هذه منذ ازل الازل ولا تزال ابتداء لسلسلة الحيوانات والنباتات وزعموا ان في كل بذرة نباتا مندجما فيها، وفي كل نبات بذرة كاملة، ثم في هذه البذرة الكامنة نبات وفيه بذرة، الى غير نهاية.

يرى الافغاني انه عقل اصحاب هذا الزعم عما يلزمه من وجود مقادير غير متناهية في مقدار متناه، وهو من المحالات الاولى.⁴

¹ - جمال الدين الافغاني، المصدر السابق، ص6

² - جمال الدين الافغاني، الشيخ مُجَّد عبده، المصدر السابق، ص135

³ - جمال الدين الافغاني، المصدر السابق، ص7

⁴ - جمال الدين الافغاني، الشيخ مُجَّد عبده، المصدر السابق، ص136

*الفريق الثالث: يرى ان سلسلة النباتات والحيوانات قديمة بالنوع كما ان الاجرام العلوية وهيئتها قديمة بالشخص ولكن لاشيء من جزئيات الجراثيم الحيوانية ،والبزر الحيوانية يقدم وانما كل جرثومة، وبذرة هي بمنزلة قالب ،الأفغاني يرى بأنه كثيرا من الحيوانات الناقصة الحلقة، قد يتولد عنها حيوان تام الحلقة واول النازعين عند الأفغاني أن هذا الرأي هو «ابيقور احد اتباع ديوجينيس الكلبي»¹.

الأفغاني يبطل مزاعم هؤلاء الفرق ويرى إنها فاسدة لاصحیح في قولهم لأنه لا دليل يثبت مايزعمونه فأقولهم باطلة لايمكن الأخذ بها لان الدين الاسلامي لم يذكر فيه شيء مثل هذه الأقاويل لا في أحاديثه ولا نصوصه والأفغاني كل اصلاحاته تقوم على الاخذ بما جاء به الاسلام وحده.

ويوضح الأفغاني في هذا الصدد انه لما كشف علوم الجيولوجيا (طبقات الارض) عن بطلان القول بقدم الأنواع رجع المتأخرون من الماديين عنه، بالقول بالحدوث ثم اختلفوا في بحثين الأول بحث تكون الجراثيم النباتية والحيوانية ،فذهبت جماعة الى ان جميع الجراثيم على اختلاف انواعها ،تكونت عندما اخذت التهاب الارض من التناقض ثم انقطع التكون بإنقضاء ذلك الطور في الارض ،وذهبت اخرى ان الجراثيم لم تنزل تتكون حتى اليوم ،خصوصا في خط الاستواء حيث تشتد الحرارة.²

أما البحث الثاني : من موقع اختلافهم هو تلك الجراثيم من حضيض نقصها الى ذروة كمالها وتحولها من حالة الخداج (النقص) الى مانراه الى صور متقنة والهياكل المحكمة والبنى الكاملة ،منهم من قال ان لكل نوع جرثومة خاصة به ومنهم ذاهب ان جراثيم الانواع كافة خصوصا الحيوانية متماثلة في الجوهر ورأس القائلين بهذا النوع (داروين) الذي الف كتاب في بيان أن الانسان كان قردا غير أن صورته تعرضت للتهذيب والتنقيح بشكل تدريجي.³

¹ - جمال الدين الأفغاني ،المصدر السابق ،ص7-8.

² -جمال الدين الأفغاني ،الشيخ محمد عبده ،المصدر السابق ،ص137

³ -جمال الدين الأفغاني ،المصدر السابق ،ص9

الافغاني يعارض ماتم التطرق اليه من خلال هذين الباحثين ،وعن فكرة التطور والذي يرى ماهو الإختلاف في منشأ هذه الجرائم ويرفض كذلك تفسير داروين ،ويرى بأن أي تفسير يقوم على المصادفة دون احكام العقل غير صحيح ،الافغاني في كل احكامه وتفسيراته تقوم على على العقل وعلى ما جاء به الاسلام من تعاليم واقوال فهو يقين وصحيح وليس فيه شك.

الافغاني بقوله حاول اعلان الحق واطهار الواقع والشروع في بيان المفاصد التي جلبها الماديون (النيشيريون) على نظام المدينة والمضارات التي تضعع لها بناء الهيئة الاجتماعية وكان منشأوها فشو افكارهم ¹.

نجده يقول عن الماديون تخالفت مظاهرهم في الأمم والاجيال ،فتخالفت أسمائهم فكانو تارة يسمون أنفسهم بسمات الحكماء ،وينتحلون الحكيم لقبا لأفرادهم واحيانا يتسمون بدافع الظلم ورافع الجور ،وكانوا يظهرون في اوقات بدعو السعي في تطهير الأذهان من الخرافات ، وكيفما ظهروا وفي اي صورة تمثلو ،كانو صدمة شديدة على بناء قومهم ، ينفثون السم في الارواح بأرائهم ².

لذلك سعى الافغاني لإبطال مزاعمهم بالحجج والبراهين العقلية مؤكداً بأنهم فرقة حملت مجموعة من الافكار وروجتها بين الناس وبينت انها على حق في تفسير الكون بينما هدفها هو قلع تلك الاصول وافساد تلك الخصال. فيكشف عن اباطيلهم فيقول هؤلاء جحدة الألوهية في أي أمة ظهروا، كانوا يسعون لقلع أساس هذا القصر المسدس الشكل ،قصر السعادة الانسانية القائم بستة جدران :ثلاث عقائد وثلاث خصال، أعاصير افكارهم تهدم هذا البناء الرفيع وتلقي بهذا النوع الضعيف الى عراء الشقاء وتهبط من عرش المدينة الانسانية الى أرض الوحشية الحيوانية ³.

¹ - جمال الدين الافغاني ،المصدر السابق،ص16

² - جمال الدين الافغاني ،الشيخ محمد عبده ،المصدر السابق ،ص145

³ - المصدر نفسه ،ص157

هذا القصر المسدس الشكل يقصد به ان الدين الاسلامي هو الذي شيد قواعده والتي عمت الأمة الاسلامية والتي وصل بهم الى المدينة والسعادة الانسانية بلا نزاع ولا اختلاف.

يرى بأن الدين الاسلامي افاد المسلمين بمجموعة من العقائد والخصال يلخصها الافغاني في:

-العقيدة الاولى : التصديق الجازم بأن الانسان ملك الارض وهو أشرف المخلوقات

-العقيدة الثانية : يقين كل ذي دين بأن امته أشرف الأمم وكل مخالف له في ضلال وباطل.

-العقيدة الثالثة : جزمه بأن الانسان انما ورد هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم ارفع واوسع

من هذا العالم الدنيوي ¹ .

هذه العقائد الثلاث الذي افاد بها الدين الاسلامي المسلمين لها اثار جمة في نفوس البشر، فيها صلاح الامة من المفاسد التي تطرا عليهم حسب الأفغاني.

أما الخصال الثلاث التي توارثتها الأمم من التاريخ قد لايجد قدما وانما طبعها في نفوسهم طابع الدين فإحداهما خصلة الحياء كما يراها الافغاني هو انفعال النفس من اتيان ما يجلب اللائمة عليها بالتوبيخ، وتأثير هذه الخلة هي حفظ نظام الجمعية البشرية وكف النفوس عن ارتكاب الشنائع ².

أما الخصلة الثانية فهي الامانة من المعلوم ان بقاء النوع الانساني قائم بالمعاملات والمعاوضات في منافع الاعمال وروح المعاملة والمعارفة انما هي الامانة فإن فسدت الامانة بين المتعاملين بطلت صلات المعاملة ³.

والخصلة الثالثة هي الصدق، حيث يرى الافغاني ان الصدق ركنا ركينا للوجود الانساني وعماد للبقاء الشخصي والنوعي وموصل للعلائق الاجتماعية بين الشعوب ولا تتحقق ألفة مدينة، واذا فقدت خلة الصدق كيف ينيح الشقاء بها ¹.

¹ -جمال الدين الافغاني، الشيخ محمد عبده، المصدر السابق، ص147

² - جمال الدين الأفغاني، المصدر السابق، ص22

³ - جمال الدين الافغاني، الشيخ محمد عبده، المصدر السابق، ص153

هذه الخصال الثلاث التي جاء بها الدين الإسلامي هي خصال لها تأثير في نظام الحياة البشرية فهي تقوم على تهذيب النفوس من ارتكاب المعاصي والقبائح وتجعل من الناس يقومون بالأعمال الشريفة التي تقوي الروابط وصللة الارحام مما تجعل الانسان يرتفع الى العظمة في جميع ميادين الحياة.

بين الافغاني ان الدين الاسلامي اعظم الاديان وفيه ميزات يتميز بها عن سائر الاديان وهي اولا تلخيص العقول من الاوهام والخرافات التي تصبح حجابا عائقا بين العقل والحقيقة، وتشمل الحركة الفكرية للعقل وتحول بينه وبين الرقي الانساني،² هذه الاوهام حسب الافغاني تقوم بطمس نور العقول والاخذ بهم الى الفنون لأن سعادة الانسان تكون حسب الافغاني من نتائج العقل والبصيرة.

يرى الافغاني ان الاوهام لها مصدرين: أوهاام نابعة من داخل المجتمع نفسه وهي انتشار البدع والمحدثات والخرافات في الدين الاسلامي، والمصدر الثاني للوهم هو الافكار الواردة عن الامة الاسلامية من الخارج هو الافكار الفلسفية والعلمية الاتية عن العالم الاسلامي من الحضارة الغربية.³

اما الميزة الثانية التي يتميز بها الدين الاسلامي وهي صقل عقل المسلم بصقال التوحيد ليحيد به عن الخوض في تلك الاوهام فمن أهم اصوله الاعتقاد بأن الله متفرد بتصريف الاكوان متوحد في خلق الفواعل والافعال.⁴ ثالث ميزة يتميز بها الاسلام وهي أنه فتح ابواب الشرف للأنفس كلها وأثبت لكل نفس الحق في السمو؛ كما أنه يكاد يكون منفردا بين الاديان بتقريع المعتقدين بلا دليل وتوبيخ المتبعين للضنون اما الميزة الرابعة اوجب تقييم سائر الامة وتنوير عقولها بالمعارف والعلوم.⁵

ويعتقد الافغاني ان كل ميزة يتميز بها الدين الاسلامي لها اثر على الانسانية فهي تقويم المدينة وتشبيد بناء النظام الانساني وبين أنه اذا التزمت الأمة بهذه الميزات فيكون مآلها التطور والتقدم واذا لم تتبع ماينصه الدين الاسلامي فإن مآلها الانحطاط والتشتت والفقير والمسكنة والذل .

¹ - جمال الدين الافغاني المصدر نفسه ص26-27

² - فريال حسن خليفة، المرجع السابق، ص63

³ - المرجع نفسه، ص64

⁴ المرجع نفسه، ص66

⁵ - احمد امين، المرجع السابق، ص79

المبحث الثاني: التوفيق بين العلم والايان

جمال الدين الافغاني كان له عطاء كبير على الأمة الإسلامية في كل الميادين، فلقد أسهم بجهده في الدفاع عن العروبة والاسلام بالمنتديات والصحف الفرنسية، وبعث النشاط في روابط ونوادي الشرقيين الذين يدرسون هناك، ومن أشهر اسهاماته رده على المستشرق الفرنسي ارنست رينان 1823-1892 الذي القى محاضرة بالسوريون اتهم فيها الاسلام بالعداء للعلم والتقييد لحرية العلماء، ووجد فيها العقل العربي من امكانية التفكير الفلسفي والمركب.¹

لقد ادعى رينان ان اي انسان على قدر من المعرفة العصرية، يرى بجلاء تخلف البلاد الاسلامية، وتدهور الدول التي تدين بالاسلام، والافلاس الفكري الثقافي والتعليمي عند الاجناس المعتنقة لهذا الدين. كما يلاحظ اولئك الذين عاشوا في الشرق او افريقيا باستغراب القصور الروحي عند المؤمن الحق والبوتقة الحديدية التي تغلق عقله والانغلاق الذهني المحكم الرفض للعلم، بحيث يصبح عاجزا عن التعلم والانفتاح عن أي فكرة جديدة ويعزو رينان هذا الانغلاق الفكري عند المسلمين الى الدين الاسلامي.²

ارنست رينان يؤكد ان سبب تخلف المسلمين وانحطاطهم عائد الى تمسكهم بدينهم الاسلامي فهو السبب الرئيسي الى الحالة التي هم فيها.

لهذا نجده يخرج بأراء يؤكد أن الإسلام لايشجع على العلم والفلسفة والبحث بل هو عائق لها، وإن الجنس العربي بطبيعته أبعد العقول عن الفلسفة والنظر فيها.³ ويرى أن الإسلام لم يستطع أن يتحول أو ينتحل اي عنصر من الحياة المدنية والعلمانية فقد نزع من جوفه كل أصل من الثقافة العقلية.⁴

¹ - محمد عمارة، جمال الدين الافغاني، موقف الشرق و فيلسوف الاسلام، ط2، دار الشروق، 1988، ص70

² - على المحافضة، المرجع السابق، ص73

³ المرجع نفسه، ص79

⁴ ارنست رينان، ابن رشد و الرشدية، نقله الى العربية عادل زعيتر، دط، القاهرة، 1957، ص11

لقد دارت محاضرة رينان حول نقاط ثلاث والتي ألقاها في السوربون:

أولاً: خطأ المؤرخون في قولهم: علوم العرب، فنون العرب وتمدن العرب وفلسفة العرب مع أن هذه الاشياء نتاج الأمم غير العربية أكثر من نتاج الامة العربية، فالتمدن أكثر من نتاج الفرس، والفلسفة أكثر من نتاج النصارى، والفلاسفة الذين ظهوروا في دولة الإسلام كالكندي والفراي وابن سينا لم يكن منهم من العرب إلا الكندي؛ ومن ثم فإن نسبة الحضارة والمدينة والعلم والفلسفة الى العرب خطأ.¹

وهكذا ينفي رينان كل نتاج انتجه العرب سواء في الفنون أو الفلسفة أو غيرها، وان الفلسفة في نظره لم تكن اسلامية لأن الاسلام لم يستطع استيعابها.

أما النقطة الثانية من محاضرتة فهي تدور حول أن الاسلام والعلم لا يتفقان مما يستوجب القول استنتاجاً أن الاسلام والمدينة لا يتفقان، يقول رينان (كل من كان مطلعاً بعض الاطلاع على أحوال زماننا يشاهد بوضوح انحطاط البلدان الاسلامية الحالي، وتقهر الدول الخاضعة لحكم الاسلام وانعدام معالم الفكر لدى الشعوب التي اقتبست عن هذا الدين وحدة ثقافتها وتربتهها).²

أرنست رينان من خلال قوله بأن الاسلام والعالم متعارضان وأتھما لا يتلائمان يؤكد بوضوح بأن الاسلام هو الذي أعدم الفكر لدى الشعوب الاسلامية وضيق أفقها.

والنقطة الثالثة من محاضرتة أن العنصر العربي بطبيعته أبعد العقول عن الفلسفة والنظر فيها، فالزمن الذي كان يسود فيه العنصر العربي وهو عهد الخلفاء الراشدين، لم تكن فيه الفلسفة ولم يظهر البحث العلمي ولا الفلسفة الا حيث انتصرت الفرس ونصروا العباسيين على الأمويين وسلموهم زمام الملك ونقلوا الخلافة الى العراق مهد التمدن الفارسي القديم.³

¹ احمد امين، المرجع السابق، ص 86

² - البرت حوراني، المرجع السابق، ص 151

³ - احمد امين، المرجع السابق، ص 87

أرست رينان من خلال محاضراته التي دشنها بالحديث عن احوال الاقطار الاسلامية والتي لاحظ بأنها تعيش في العصر الحديث خواء فكريا وثقافيا، والسبب في ذلك أرجعه الى الحكم الاسلامي ويرى بأن الفلسفة لاقت الاضطهاد في البلدان التي تدين بدين الاسلام هنا يؤكد بأن الاسلام يعيق حركة العلم في التطور والبحث الحر. ختم ارست رينان محاضراته بقيمة العلم ودعوة الأمم كلها شرقية وغربية الى الهجوم عليه فالعلم روح كل هيئة اجتماعية، به تتقدم كل الأمم وبه يتحقق العدل، وبه يستخدم العقل القوة... وهو لايساعد الا عن التقدم المؤسس عن حرمة الانسان وحرية.¹

يؤلف الافغاني كتاب للرد على رينان يسخر فيه الدفاع عن دينه ويبين فيه وفق فهمه لكلمة علم، وان الاسلام على النقيض يفسح صدره لكل علم ويدعوا اليه باعتباره وسيلة لكشف أسرار الكون والطبيعة والنفس.²

المنهج او الطريقة التي رد بها عن المستشرق الفرنسي ارست رينان كانت تتسم بالعقلانية و بالهداوة فقد عالج الافغاني نقطتين رئيسيتين في محاضرة رينان العنصرية الأولى: ان الديانة الاسلامية كانت بما لها من نشأة خاصة، تتناقض العلم والثانية أن العرب أمة غير صالحة بطبيعتها لعلوم ما وراء الطبيعة ولا الفلسفة.³

النقطة الاولى: يرى الافغاني انه على المرء يتسأل بعد أن يقرأ المحاضرة عن آخرها اصدر هذا النشر عن الديانة الاسلامية لنفسها أم كان منشأ الصورة التي انتشرت بها الديانة الاسلامية في العالم، أم ان اخلاق الشعوب التي إعتنقت الاسلام أو حملت على اعتناقه بالقوة، هي جميعها مصدر ذلك، لا ريب أن قصر الوقت المخصص لرينان حال دون جلائه هذه النقطة.

¹ - احمد امين، المرجع السابق، ص 87

² نعيم الباني، المرجع السابق، ص 52

³ جمال الدين الافغاني، مجلد عبده، الاثار الكاملة، ج 1، العروة الوثقى، ط 1، مكتبة الشروق الدولية، 2002، ص 78

ثم بين ان ما وقع للمسلمين وقع مثله للأديان الاخرى.¹ فالأفغاني في شرحه لهذه النقطة نجده يبين ان هناك سوء فهم من قبل المستشرق الفرنسي ارنست رينان الذي جعله يرى بأن الاسلام شل حركة التطور وانه معارض للفلسفة والعلم وكما اننا نجد الافغاني يدافع عن الدين الاسلامي ويرى بأنه لا يعرقل اي حركة علمية أو فلسفية. اما النقطة الثانية يقول: صحيح ان العرب اخذوا عن اليونان فلسفتهم كما اخذوا عن الفرس ما اشتهروا به، بيد ان هذه العلوم التي اخذوها بحق الفتح قد رفوها ووسعوا نطاقها ووضحوها ونسقوها تنسيقا منطقيًا، وبلغوا بها مرتبة من الكمال تدل على سلامة الذوق²، هنا الافغاني يريد على رينان بأن العرب المسلمين لهم القدرة على التقدم والتطور ولهم القدرة على اعتناق الفلسفة والتوفيق بين العلم والايمان.

لهذا نجده يقول بأن الاسلام لا يقل عن اي دين آخر وله أهلية للقيام بمهمته الجوهرية في الارشاد الخلقى، كما أثبتت في ماضيه، ومن الخطأ تلخيص هذا الماضي في انه كان انتصارا اعمى للسنة على العقل، كما يفعل رينان، بل الحقيقة هي ان العلوم العقلية قد ازدهرت فيه، وكانت اسلامية و عربية معا، فاللغة هي ما يكون الامم ويميزها، الواحدة عن الاخرى.³

كما نجده يقول في هذه المسألة مسألة العلم والايمان والأقاويل التي اتهم بها الاسلام بأنه يعرقل حركة العلم يقول: عم الجهل وتفش الجمود في كثير من المتمردين برداء العلماء حتى تخوفوا من القرآن.

¹ -احمدامين، المرجع السابق، ص89

² جمال الدين الافغاني، مجده، المصدر السابق، ص19

³ -البرت حوراني المرجع السابق، ص153

وقالو بأنه يخالف الحقائق العلمية الثابتة والقرآن بريء مما يقولون.¹ من خلال جمال الدين الافغاني هذا يعلن بأن الاسلام بمحد ذاته شرط للتقدم والعلم وأن تشويها حصل جعل الناس يعتقدون بوجود انفصال بين العلم والايمان.

ويبرز الافغاني دور الاسلام في الحض على طلب العلم وتنمية الفكر الانساني، وأستشهد بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية ودليل على ذلك بالإنجازات العلمية والمأثرة الفكرية التي حققها العرب، فقال (الكل يعلم أن الشعب العربي خرج من حالة الهمجية التي كان عليها وأخذ يسير في طريق التقدم الذهني والعلمي، ويغدوا السير بسرعة لا تعادلها إلا سرعة فتوحاته السياسية وقد تمكن من خلال قرون من التكيف بالعلوم اليونانية والفارسية، فتقدمت العلوم تقدما مدهشا، فأحب العرب تلك العلوم ورفوها، أو ليست هذه دلالة بل برهانا على حبههم الطبيعي للعلوم.²

كما نجده أنه قبل بحكم ان الفكر الاوروي الحر عن المسيحية بأنها غير معقولة وعدوة العلم والتقدم، الا انه رأى هذا الانتقاد لا ينطبق على الاسلام، لان الاسلام على عكس ذلك يتفق مع المبادئ التي اكتشفها العقل العلمي، لا بل انه الدين الذي يقتضيه هذا العقل.³ بمعنى ان نظرة الافغاني للإسلام منافية بما تطرق اليه رينان من اتهامات، فالأفغاني يرى فيه التقدم وأساس كل نهضة لكل من تمسك بقواعده.

¹ - احمد برقاي، المرجع السابق، ص 62

² علي المحافظ، المرجع السابق، ص 79

³ - البرت حوراني، المرجع السابق، ص 154

من خلال رد فعل الأفغاني على رينان والذي كان فيه نوع من العقلانية جعل رينان يعجب بالأفغاني، حيث قال: تعرفت بالشيخ جمال الدين الافغاني من نحو شهرين فوقع في نفسي منه ما لم يقع لي إلا من القليلين واثربى تأثيراً قويا، وقد جرى بيننا حديث عقدت من أجله النية على أن تكون علاقة العلم بالإسلام هي موضوع محاضرة في السوربون، والشيخ جمال الدين الافغاني نفسه خير دليل يمكن أن نسوقه عن تلك النظرية العظيمة التي طالما اعلناها وهي ان قيمة الاديان بقيمة من يعتقدونها من الاجناس.¹

هنا يتبين رجوع أرنست رينان عن كلامه بأن الاسلام يقف ضد حركة العلم كان منبعه رد الافغاني العقلاني على محاضراته وشرح الافغاني لمحاضراته وان قصر الوقت المخصص لرينان قد حال دون جلالته.

ومن خلال مما سبق ذكره نجد أن الافغاني دافع عن الدين الاسلامي من كل الاتهامات والاقاويل ويرى أنه ليس مسؤولاً على خنق الحركة العلمية والفلسفية وأن مسألة التوفيق بين العلم والايمان جعلت الافغاني يسعى ليظهر للناس عامة بأن الاسلام من من طبقة مقاومة العلم لما شجع الحركة العلمية في أوله و آخره.

يقول الافغاني أن الدين اول معلم وارشد استاذ وأدهى قائد للأنفس الى اكتساب العلوم والتوسع في المعارف ، وأرحم مؤدب وأبصر مروض بطبع الارواح عن الآداب الحسنة والاخلاق الكريمة.²

¹ - احمد امين، المرجع السابق، ص91

² جمال الدين الافغاني، محمد عبده، العروى الوثقى، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، 2012، ص74.

الفصل الثالث

الاصلاح السياسي لجمال الدين الافغاني

المبحث الاول: توحيد الامة الاسلامية و دعوته للجامعة الاسلامية

المبحث الثاني: تحرير ارادة الامة الفردية من الاستبداد

المبحث الثالث : رفض تقليد الغرب

تمهيد :

يعتبر الاصلاح من بين المصطلحات المهمة في الحياة، فهو يقوم على التغيير أو التبدل نحو الافضل في حالة الاشياء ذات النقائص، وخاصة في المؤسسات والممارسات السياسية الفاسدة، أو الجائرة وازالة بعض التعسف والخطأ والاصلاح يوازي فكرة التقدم، او ينطوي جوهريا على فكرة التقدم، فالإصلاح السياسي يقوم من اجل ازالة الفساد والاستبداد، وهو ركن اساسي مرسخا للحكم الصالح ومن مظاهر سيادة القانون والشفافية والمشاركة الشعبية في اتخاذ القرار والعدل ويرى الكثير من المصلحين السياسيين يغير حالة الامة على ما كانت عليه قبل الاصلاح .

فجمال الدين الافغاني الذي يعتبر من اوائل المصلحين السياسيين قد عمل في اغلب اوقات حياته على ان يغير حال الامة الاسلامية من الاستبداد والتفرقة والتقليد، فقد كان همه الوحيد هو تغيير الامة الى الأحسن بعدما كان يسودها الذل والهوان، فنقطة انطلاق الافغاني في الاصلاح السياسي هي الازمة التي كانت تمثل خطرا او تحديا للنظام القائم في ذلك الوقت.

والإشكال المطروح في هذا الصدد : كيف عمل الافغاني في إصلاحه السياسي في تغيير هذه الأمة؟

المبحث الاول : توحيد الامة الاسلامية ودعوته للجماعة الاسلامية:

جمال الدين الافغاني شخصية إختلف الناس حول نسبه هل هو إيراني ام شيعي وهل هو أفغاني وأن مذهبه الكلامي ليس مذهب أهل السنة ومذهبه الفقهي لم يكن مذهب أبي الحنيفة ، كما كان يقول ويقول عارفوه ومعاصروه.¹

هذه الإختلافات في شخصية جمال الدين الأفغاني سببه انه تعالى عن المذاهب والخلافات التي تجعل الأمة متفرقة وغير موحدة فكان مسالما داعيا الى توحيد المسلمين جامع كل المذاهب في وعاء الاسلام ودليل ذلك انه كان يدعو الى الالتزام والعودة الى ينابيع الاسلام وحده.

لذا نجده يقول انه مامن نوع من انواع التضامن الطبيعي، ولا حتى حب الوطن يمكنه أن يحل في قلوب المسلمين محل الرابطة التي خلقها الاسلام، إذ إن الوحدة الحقيقية في الامة الاسلامية، إنما تقوم على الاعتقاد الديني المشترك اذا انعدم هذا انحل المجتمع، وهو ما اعتقد الافغاني انه حاصل في زمانه، وكان يخشى ان لاتضعف الامة فحسب بل تزول تماما.²

الافغاني كان يسعى الى ازالة الفوارق وتوحيد كلمة المسلمين وذلك عن طريق الدين الاسلامي والذي يرى بأنه اذا زال الدين وانحل فمآل الامة هو الزوال كذلك.

سعى جمال الدين الافغاني الى وحدة الاسلام والمسلمين وجعلها هدفه المباشر والمعلن،³ ويرى الافغاني ان الوفاق والغلب عمادان قويان وركنان شديدان من أركان الديانة الاسلامية ، جاء في قول صاحب الشرع.

¹ -مُجَدَّ عمارة ،المرجع السابق ،ص21

² - البرت حوراني ،المرجع السابق ،ص149

³ - نعيم الباني ،المرجع السابق ،ص31

قوله صلى الله عليه و سلم: «**انما المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**» وجاء في نهيهِ «**لا تقاطعو ولا تدابرو ولا تحاسدو وكونوا عباد الله اخونا**»¹.

كما نحد الإسلام يقرر مبدأ انما المؤمنون إخوة ،هذا المبدأ انما يقوم على ازالة الفوارق الاجتماعية في مجتمعات المسلمين². وهذا ماكان يسعى اليه الافغاني مستندا الى الاحاديث النبوية والآيات القرآنية مبينا بأن سبب ضعف المسلمين وجمودهم الفكري انما يقوم على هذه التفرقة التي عمت المسلمين.

فمفهوم الوحدة في خطاب جمال الدين الافغاني تعني وقوف العرب والمسلمين صفا واحدا ضد الآخر الغرب الاستعماري ،وعبارة صف واحد قد تعني قيام دولة اسلامية واحدة وقد تعني اتفاق الحكام العرب والمسلمين على النهوض كرجل واحد ضد الخطر الذي كان يتهدد انذاك بصورة جدية كيانهم كأمة³.

والامة كمفهوم هي كلمة مشابهة للفظة الام فهما يرجعان الى مصدر مشترك ،والأم هي صورة الأم الحسية فكما يصدر عن الام ابناؤها وينتمون اليها كمنهل للحياة، كذلك الامة في الحدس العربي هي مصدر الاخوة في المجتمع⁴ الافغاني يرى بأنه لو اعتصم المسلمون بدينهم لما تفرقوا لأنه سبب في قوتهم ولم شملهم لذا نجده يقول من هذا الصدد ان للمسلمين شدة في دينهم وقوة في ايمانهم وثباتا عن يقينهم يباهون بها على من عداهم وان في عقيدتهم اوثق الاسباب لارتباط بعضهم ببعض ومما رسخ في نفوسهم.

في نفوسهم ان في الايمان بالله تعالى وما جاء به نبيهم ﷺ كفالة لسعادة الدارين ومن حرم الايمان فقد حرم السعادتين ويشفقون على احدهم ان يمرض من دينه اشد مما يشفقون عليه من الموت والفناء وهذه الحالة كما هي متمكنة في عامتهم حتى لو سمع اي شخص منهم في اي بقعة من بقاع الارض عالما كان او جاهلا ان واحد ممن وسم بسمه الاسلام في اي قطر ومن اي جنس صبا عن دينه رأيت ان يصل اليه هذا الخبر في تحرق وتأسف يلهج

¹ - جمال الدين الافغاني ،مُجد عبده ، العروة الوثقى،المصدر السابق ،ص76

² - علي عزت بيجوفيتش ،المرجع السابق ،ص21

³ - مُجد عابد الجابري ،المرجع السابق ،ص89

⁴ -جورج طرايشي ،المرجع السابق ،ص48

بالحوقة والاسترجاع.¹ الافغاني يرى فالالتزام بمبادئ الاسلام سبب إخوة المسلمين، وأنه من سار على نهج غير نهج الاسلام فإن مآله التفرقة وهجرة بعضهم بعض.

كما يرى الافغاني ان رابطة النسب هي أقوى رابطة بين البشر يكون الامر في سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني، من حيث ارتباط بعضه ببعض². تقوم الوحدة الاسلامية عند الأفغاني على ركن أساسي هو ركن التوحيد فيه تطهير للعقل الانساني من الاوهام العلمية والفلسفية وحماية للعقيدة من الإختلاف الفكري وتعدد الملل الدينية ودرع للأمة الاسلامية من التفكك والضعف وضياح الخلافة الاسلامية³، ويقصد الافغاني من حماية العقيدة من الاختلاف الفكري هو اذابة او ازالة ما بينها من خلافات في فروع الدين، والتي ضخمها الكثير من الناس حتى جعلوها شيئاً كبيراً يصعب تجاوزه.

الأفغاني في توحيده للأمة الاسلامية انطلق من مفهوم ان الاعتقاد المجرد لا يكفي للبقاء على الوحدة الاسلامية، وانما يجب ان تدعمه حاجات وبواعث انسانية حقيقية يجب أن يكون هناك وحدة في القلوب والاعمال، فعندما لاتوجد هذه الوحدة تأخذ المعتقدات المشتركة في التعبير عن نفسها بالاحلام والتصورات دون سواها وهذا ما كان حاصله بالفعل، فعندما يسمع الان مسلم في بلد ما عن مصائب المسلمين في بلدان اخرى لا يندفع لمساعدتهم فعليا، بل انما يخالجه ذلك النوع من التأسف الفكري الذي يراود الانسان عندما يفكر بالميت.⁴

الافغاني هنا يركز في وحدة الامة على عنصر العاطفة التي هي بداخل هذه الامة وهي عاطفة حب هذه الامة لدينها وحرصها على ان اي مسلم يجب ان يبقى داخل الاسلام وعدم خروجه من هذه الدائرة .

¹ - جمال الدين الافغاني مُجدِّد عبد، العروى الوثقى و الثورة التحريرية الكبرى ،تحقيق صلاح الدين البستاني ،دار العرب للنشر ،دت،ص30

² - المصدر نفسه ،ص32

³ - فريال حسن خليفة ،المرجع السابق ،ص71

⁴ - البرت حوراني ،المرجع السابق ،ص150

فهو يرى بأن الاعتقاد لا يحافظ على الوحدة الاسلامية، بل يجب ان تكون تدعمه عواطف انسانية حتى لا تكون هناك تصورات اخرى.

دعى جمال الدين الافغاني الى وحدة الامة وازالة الفوارق بين الفرق الاسلامية،¹ فهو قد بدأ في دعوته الى لم شمل المسلمين بإزالة كل الخلافات والصدمات الواقعة بين الفرق ليكون هناك توحيد بينهم، فقد استنكر جمال الدين الافغاني انقسام المسلمين الى سنة وشيعة وسعى الى ازالة الخلاف بين الفريقين، متهما الملوك السنيين بتحويل امر الشيعة لكسب ود العوام، ولا يجد مبررا لاستمرار الانقسام بسبب خلاف سياسي، فهو يقول: فالملوك من السنيين هولوا واعظموا أمر الشيعة لاستهواء العوام بأوهام غريبة على شيعة اهل البيت، ليتسنى لهم بذلك تقريب الاحزاب وتجييش الجيوش ليقتل المسلمين بعضهم بعضا بحجة السنة والشيعة وجميعهم يؤمنون بالقرآن وبرسالة محمد ﷺ²، يرى الافغاني ان سبب انقسام المسلمين الى سنة وشيعة هو سبب عفى عليه الزمن فلماذا هذا الانقسام الذي ادى الى التفرقة والى تخلف المسلمين وعدم توحيد بعضهم ببعض تحت لواء واحد ونهج واحد.

كما تناول الافغاني قصة مسألة تفضيل الامام علي والانتصار له يوم قتاله معاوية وخروجه عليه "فلو سلمنا انه كان في ذلك الزمن مقيد او ينتظر من ورائه نفعا لا حقايقا بهذه القضية التي مضى امرها وانقضى مع امة قد خلت ليس فيها الا محض الضرر وتفكيك الوحدة الاسلامية."³

ولتحقق الوحدة الاسلامية عند الافغاني يقتضي ثلاث شروط:

اولا: نبد الاختلاف والتعدد وكثرة المذاهب والشيوع في الدين، أمة واحدة لاسنة ولاشيعة، وحظ الامة من الوجود هو مقدار حظها من الوحدة ومبلغها من العظمة على حسب تطاولها في الغلب والوفاق، وهما عمادان قويان وركنان شديدان من اركان الديانة الاسلامية وفرضان محتومان على من يستمسك بهما.

¹ - على المحافظة، المرجع السابق ص، 73

² - المرجع نفسه، ص 77-78

³ - المرجع نفسه، ص 78

ثانيا: وحدة الدين والدولة في شرط أساسي في الوحدة الاسلامية، يعزو الأفغاني الفرقة والتعدد والاختلاف التي هي سبب الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية ادى الى انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقتما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون ان يحوزو شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في اصوله وفروعه كما كان الراشدون عليه السلام.

ثالثا: ان يكون الدين الاسلامي الرابط الوحيد الحقيقي بين المسلمين وماعداه مذموم، ان يكون الدين هو المرتكز الاساس في بناء وحدة الامة فكريا وسياسيا واجتماعيا، ومن ثم تنهاوى الى جانبه اي علاقة او رابطة اخرة تستند الى الجنس او الشعب او الوطن او القومية بل يقول الافغاني كل رابطة سوى رابطة الشريعة الحققة فهي محقونة على لسان الشارع والمعتمد عليها مذموم والمتعصب لها ملوم.¹

هذه الشروط الثلاث التي يرى فيها الافغاني سبب تحقيق الوحدة الاسلامية تقوم على نبد كل اختلاف يكون سن المسلمين سواء بين الفرق الاسلامية او غيرها يرى ان الوفاق بين المسلمين هو سبب في نخصهم وفي غلبتهم على الآخر المستبد اي الغرب ويرى بأن الدين الاسلامي هو اساس وحدة المسلمين فهو يقوم بوضع حدود المعاملات بين المسلمين ونسيان كل حقوقهم و واجباتهم.

ولذا نرى أن جريدة العروة الوثقى التي اصدرها الافغاني كانت أنه من أهم الوسائل التي اهتمت بمسألة الوحدة الاسلامية فقد دعت العلماء والشعوب الى الوحدة وترك التعصب ويرى أنه ما توجهت اليه عناية الافرنج الى بث الافكار الاباحية، أو الاكاذيب بين ارباب الديانة الاسلامية الا لينقضوا بذلك بناء الملة الاسلامية ويمزقوها إربا وشعبا.²

¹ - فريال لحسن خليفة، المرجع السابق، 71-72

² - جمال الدين الحسيني الافغاني، مُجد عبده، العروة الوثقى، ج1، المصدر السابق، ص72-77

كما نجد الافغاني يرى بأن اللغة عنصر جوهري في خلق جماعة مستقرة اذ ان المجتمعات البشرية التي لا تجمعها لغة مشتركة لا يمكن لوحدتها ان تكون ثابتة ، كما انه من السهل على الجماعة التي ليس لها لغة خاصة تعبر بها عن معرفتها ومهارتها ان تخسر ماهي عليه من المعرفة والمهارة لابل ان الجماعة الدينية نفسها تكون اقوى فيما لو كانت لها لغة مشتركة .¹

الافغاني يعطي للغة دور هام في توحيد الامة الاسلامية إذ يرى فيها العامل المهم لخلق جماعة موحدة تستطيع أن تستجيب لبعضها البعض ما تريد من خلال فهمهم لبعض البعض لذلك فاللغة عامل اساسي عند الافغاني.

ورأى الافغاني كذلك ان الرابطة الدينية لا تتعارض مع الروابط القومية القائمة بين أقوام ينتمون الى اديان مختلفة ومن هنا نداؤه الى المسلمين في مصر والهند قائلا: عليكم ان تتقوا الله في حسن المعاملة وأحكام الالفة في المنافع الوطنية بينكم وبين ابناء اوطانكم و جيرانكم من أرباب الاديان المختلفة بل من هنا دعوته الى تضامن طبيعي يتعدى الامة ، هو ذلك التضامن الذي يربط بين جميع شعوب الشرق الذي يهددها التوسع الاوروبي .²

لقد كان الافغاني يدعو الى الوحدة ضد عدوهم المستعمر ويدعو العثمانيين الى مساندة مسلمي الهند كما أنه يدعو الإيرانيين والافغانيين أن يتحدوا ضد الانجليز ، ان الوحدة الاسلامية عند الافغان لم تكن قضية سياسة مرحلية فحسب بل إعتبرها جزءا من الاصول السياسية التي يدعو اليها الاسلام وهي امر ضروري سياسيا ودينيا وحضاريا.³

حركة الجامعة الاسلامية التي رفع لوائها جمال الدين الافغاني كانت بمثابة تيار متميز في ساحة العمل من أجل التضامن الاسلامي.⁴ وفي ظل الجامعة الاسلامية يرى الافغاني قدرة الشرق الاسلامي على مواجهة الغرب الاستعماري وتحديه حضاريا بل و مواجهة الخلاف الفكري والديني والقضاء على التفتت السياسي والصراعات القبلية والاقليمية داخل العالم الاسلامي.⁵

¹ - البرت حوراني ، المرجع السابق ، ص 149

² - المرجع نفسه ، ص 149

³ - جمال الدين الحسيني الافغاني ، مُجد عبده ، العروة الوثقى و الثورة التحريرية الكبرى ، المصدر السابق ، ص 82

⁴ - مُجد عمارة ، المرجع السابق ، ص 25-26

⁵ - فريال حسن خليفة ، المرجع السابق ، ص 71

الافغاني من خلال الجامعة الاسلامية أراد أن يصلح حال الامة الاسلامية التي عم فيها الشتات وساد فيها الهمجيون وأن يبني دولة اسلامية موحدة يسود فيها السلام وعدم الشتات.

الدعوة الى الجامعة الاسلامية الذي عرف بما جمال الدين الأفغاني ترمي الى إتحاد جميع الشعوب التي تعيش في كنف الإسلام لكي يتيسر لها التخلص من سيطرة الاجنبي وقد كان يقول بهذا الصدد إن الدول الغربية تنتحل الاعذار في هجومها وعداوتها على البلاد الاسلامية واذلالها وإكراهها بقولها ان المماليك الاسلامية هذه إنما هي من الانحطاط والهوان بحيث لا تستطيع أن تكون قوامه عن شؤون نفسها بنفسها في حين ان تلك الدول عينها لاتكن عن التذرع بألوف الذرائع حتى بالحرب والحديد والنار للقضاء على كل حركة من حركات النهضة والاصلاح في البلاد الاسلامية.¹

هدف الافغاني كله من خلال الجامعة الاسلامية هو القضاء على الغرب وسيطرتهم في البلاد الاسلامية ومحو كل مايزعمونه ضد المسلمين لكي يتسنى للمسلمين استقلال كل منها عن الآخر وتتحد كصف واحد ضد الغرب. ان موقف الافغاني حيال شعارات الجامعة الاسلامية إن الرجل كان شديد الحسم وبالغا حد الروعة في الجلاء والوضوح، فهو الذي يطرح القضية التي تواجه المسلمون عموما وتعترض طريق المؤمنين، بهذا الدين فيجعل منها اساس قضية النضال ضد الاستعمار وذلك عندما يتسائل قائلاً أنرضى ونحن المؤمنون وقد كانت لنا الكلمة العليا ان تضرب علينا المسكنة والذلة، وان يستبد في ديارنا واموالنا من لا يذهب مذهبا ولا يريد مشربا ولا يحترم شريعتنا ولا يرقب فينا الا ذمت بل أكبر همه ان يسوق علينا جيوش الفناء² كان هم الافغاني الوحيد هو طرد الاستعمار الغربي من البلاد الاسلامية وان يتحد المسلمون فيما بينهم ويلموا شملهم ويطردوا هذا الاستعمار الغاشم الذي زرع تلك الافكار الخرافية في عقول المسلمين.

¹ - جمال الدين الافغاني، محمد عبده، العروة الوثقى و الثورة التحريرية الكبرى ،المصدر السابق، ص90

² - محمد عمارة، المرجع السابق، ص123-124

كذلك شعارات الجامعة الاسلامية التي ناضل تحت الويتها كانت لها كذلك محتوياتها الاقتصادية واذ كان المضمون الاقتصادي لشعارات الجامعة الاسلامية انما كان رد فعل لاجتياز موارد الثورة في الشرق من قبل المستعمرين اي احتكارها فإن غاية الجامعة الاسلامية الاقتصادية هي ثروة المسلمين وثمرات التجارة والصناعة في جميع المعمور الاسلامي هي لهم وليست للنصارى الغرب يستنزفونها.¹

ومن خلال مقدمه جمال الدين الافغاني حيال الجامعة الاسلامية نجده إن هدفه الوحيد من خلالها هو توحيد الامة الاسلامية ولم شتات المسلمين لكي ينهضوا كرجل واحد ضد المستعمر الغرب والذي زرع عدة افكار الحادية للمسلمين جعلهم يتشتتوا فكانت الجامعة الاسلامية هي الحل الوحيد لجمال الدين الأفغاني لإظهار المسلمين بأن سبب تخلفهم يكون في تشنتهم.

¹ - محمد عمارة، المرجع السابق، ص 126

المبحث الثاني: تحرير ارادة الامة من الاستبداد.

لقد عمل جمال الدين الافغاني في اصلاحه السياسي على اصلاح حال الامة وما طرأ عليها، فقد قام بتحرير ارادة الامة بعدة طرق، فأول ما بدأ به في تحريرها هو تحرير ارادة الفرد فالافغاني بتأليفه رسالة القضاء والقدر أراد ان يحرر تفكير الانسان الذي اصبح يرى ويعتقد أنه محكوم في ارادته بما يرسم له مسبقا وبذلك لا كلام له ولا إختيار أي منزع منهما تماما.

لذا ألف الافغاني هذه الرسالة لخدمة الاخوان المسلمين الذين وهبوا قوة في الفهم والادراك عسى يهتدوا الى حقيقة فهم القضاء والقدر فقد بنيت حقيقتها كما يريد الله تعالى ورسوله ﷺ.¹

الافغاني من خلال رسالته هذه بين ان لفظ المغلظين من الافرنج الذين رموا المسلمين بصفات ونسبوا اليهم اطوارا ثم حصروا علتها، في الاعتقاد بالقدر فقالوا ان المسلمين في فقر وفاقة وتأخر في القوة الحربية والسياسية عن سائر الامم، وقد فشا فيهم فساد الاخلاق فكثرت النفاق والخيانة والتحاقد والتباغض، وتفرقت كلمتهم وجعلوا احوالهم الحاضرة والمستقبلية وغفلوا عن ما يضرهم وينفعهم وقنعوا بحياة يأكلون ويشربون وينامون ثم لا ينافسون غيرهم في الفضيلة.²

الافغاني حاول من خلال ما وصف الافرنج المسلمين ان بين هؤلاء لم يفهموا هذه العقيدة الدينية، والتي هي القضاء والقدر وارادوا ان يبنوا للمسلمين انهم في غفلة عما يفعلون فوصفهم بهذه الصفات ورأوا أنه لو بقي المسلمون عن هذه الصفات فلن تقوم لهم قائمة ويصبحون في ضعف .

¹ - جمال الدين الافغاني، القضاء و القدر، دط، المطبعة المحمدية التجارية، مصر، دت، ص10

² - جمال الدين الافغاني، محمد عبده، رسائل في الفلسفة و العرفان، المصدر السابق، ص82

كما ذهب هؤلاء الافرنج بأنه لافرق بين الاعتقاد بالقضاء والقدر والاعتقاد بمذهب الجبرية القائلين بأن الانسان مجبور محض في جميع افعاله ،وتوهموا أن المسلمين بعقيدة القضاء والقدر يرون انفسهم كالريشة المعلقة في الهواء تقلبها الرياح كيفما تميل ،هكذا ضنت طائفة من الافرنج وذهب مذهبها كثيرون من ضعفاء العقول في المشرق.¹

ولهذا حاول الافغاني ان يحرر الانسان من كل معتقداته التي يعتقدونها والتي حاول الافرنج ترسيخها اياها فأول ما بدأ الأفغاني به هو تصحيح هذا الفهم وتبيان بوضوح ماتعنيه هذه العقيدة اي القضاء والقدر من جهة وبين اختيار الانسان من جهة اخرى، فقضاء الله وقدره أمر ثان لكن مع الايمان به حق الايمان .

فالذي يؤمن بهذه العقيدة حسب الافغاني يعتقد بأن الاجل محدود والرزق مكفول والاشياء بيد الله يصرفها كما يشاء.²

الافغاني بتحرير الفرد من كل ما طرأ اليه إذ يخرج من التواكل الذي ظن أنه لا دور له في هذه الحياة وانه محكوم في ارادته فالافغاني من خلال رسالته هذه اراد ان يبين ان عقيدة القضاء والقدر تكسب الانسان الجرأة عن العمل وتجعله يتحرر من الخوف والوهن والخمول والاستلام لأمر الواقع بدعوة التسليم بالقضاء والقدر.

والاعتقاد بالقضاء والقدو يؤيده الدليل القاطع بل ترشد اليه الفطرة وسهل على من له فكر ان يلتفت الى ان لكل حادث له سبب يقارنه في الزمان وانه لا يرى من سلسلة الاسباب الاماهو حاضر لديه ولايعم ماضيها الا مبدع نظامها.³

كذلك عمل الافغاني على تحرير الامة من الاستبداد والتسلط من الحكام ،ففي مجلته العروة الوثقى والكثير من المقالات التي كتبها في هذا الصدد والتي عبر فيها عن مفهوم الاستبداد فنجده يهاجمه هجوما عنيفا واعتبره أساس بلاء الأمة وشقائها فهو يقول ان الامة التي ليس لها في شؤونها حل ولاعقد ولا تستشار في مصالحها ولا أثر لإرادتها في منافعها العمومية وإنما هي خاضعة لحاكم واحد ارادته قانون ومشيئته نظام، يحكم مايشاء ويفعل مايريد ،فتلك امة لا تثبت على حال واحد ولا ينظبط لها سير ، فتعتبرها السعادة والشقاء ويتداولها العلم والجهل ويتبادل عليها الغنى والفقر، وكل ما يعرفه عليها من هذه الاحوال خيرها وشرها فهو تابع لحال الحكام.⁴

¹ - جمال الدين الافغاني مُجَدَّ عبده ،رسائل في الفلسفة و العرفان ،المصدر السابق ،ص83

² - جمال الدين الافغاني ،مُجَدَّ عبده ،العروة الوثقى ج1،المصدر السابق ،ص144

³ - جمال الدين الافغاني ،القضاء و القدر،المصدر السابق ،ص09

⁴ - جمال الدين الافغاني مُجَدَّ عبده،العروة الوثقى و الثورة التحريرية ،المصدر السابق ،ص104

الافغاني اراد من خلال اصلاحه هذا أن يحرر الأمة من الاستبداد و المستبدين الطاغين الذين يفعلون مايشاؤون حسب آرائهم، فإن حال الأمة من جراء هؤلاء سيكون متذبذب وليس له إنضباط، فالاستبداد هو تفرد مجموعة من الافراد بالحكم دون الخضوع لقانون ودون النظر لرأي المحكومين.¹

وحسب قول الأفغاني للاستبداد فهو يرى ان تكون امة من الامم مقيدة بسلسلة رأي واحد من الناس لاتتحرك الا بإرادته ولاتفعل الا لرضاه، فإذا كانت الامة على هذه الصورة لزمها لاحالة ان يعرف كل منه ما أودع فيه من العقل والذكاء لمرضاة شخص واحد فيكون الكل فانيا فيه.

والافغاني يقسم الحكومة الاستبدادية باعتبار عناصرها الذاتية واقانيمها الحقيقية التي هي عبارة امير وسلطان و وزراء مأمورين و ادارة وجباية تنقسم الى ثلاث اقسام :

- الحكومة القاسية: وهي التي تكون اركانها مع اتسامهم بسمة الامارة والوزارة والادارة والجبابة شبهه بقطاع الطريق، فكما ان قاطع الطريق يقطع طريق السابلة ويسلبهم اموالهم ومؤثمم وثياهمم التي تقيهم كذلك هؤلاء الاركان يغتصبون عن آخرهم ولا تأخذ في ذلك الشفقة والرحمة.²

- الحكومة الظالمة : وأولياء هذه الحكومة تماثل الاخساء الذين يستعبدون اناسا خلقوا أحرار ظلما واعتداء فكما أنهم يكلفون عبيدهم بأعمال شاقة وأفعال معينة، ويجبرونهم على نقل الاحجار وخوض البحار كذلك هؤلاء الولاة مع رعاياهم.³

-الحكومة الرحيمة: وهي تنقسم الى قسمين منها الحكومة الجاهلة ودعائم هذه الحكومة تحاكي الاب الرحيم الجاهل أما الثانية فهي الحكومة العاملة وهي كذلك تنقسم الى قسمين حكومة اقية واقانيمها تضاهي الاب العالم المأفوت وثانيها الحكومة المنتطسة واساطينها الحكماء تضارع الأب المتبصر لايرح ساعيا في اعداد الاسباب الموجبة لسعادة ابنائه زمن حياتهم.⁴

¹ - جمال الدين الافغاني، سلسلة الاعمال المجهولة، تحقيق الدكتور علي شلش، دط، دت، ص76

² - جمال الدين الافغاني، مجلد عبده، رسائل في الفلسفة و العرفان، المصدر السابق، ص58

³ - جمال الدين الافغاني، سلسلة الاعمال المجهولة، المصدر السابق، ص64

⁴ - جمال الدين الافغاني، مجلد عبده، المصدر السابق، ص60

ومن خلال رأي الافغاني في هذه الحكومات ان الحكومة الأصح هي الحكومة الرحيمة لأنها تحمل العدالة والحكمة والفتنة لذا ينص الافغاني القيام بشأنها وحفظ واجباتها.

ويرى الافغاني أنه عندما يعطي لكل ذي حق حقه ووضع الاشياء في مواضعها وتفويض اعمال الملك للقادرين على أدائها ، مما يوجب صيانة الملك وقوة السلطان ويشيد ببناء السلطة ويحكم دعائم السطوة ويحفظ نظام الداخل من الخلل ، هذا مما تحكم به بداهة العقل ، وهو العدل المأمور به على لسان الشارع من قوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » الآية 90 سورة النحل .

كما ان الاعتقاد والميل عن سبيل الاستقامة في كل جزء من اجزاء العالم يوجب فناءه ، كذلك الجور في الجمعيات البشرية بسبب دمارها.¹

الافغاني يرى بأن الاستبداد رأس البلاء التي ترزخ تحتها الامة الاسلامية ويرى بأنه غياب لكلمة العدل وعدم تقيد الحكم بالدستور لذا حث على محاربتها وأن تقيم مقامه العدل وهو اعطاء لكل ذي حق حقه في هذه الحياة .

ولقد اثر جمال الدين الافغاني كثيرا في مصر حيث نجد الدكتور عثمان امين يقول : ما من قطر من اقطار الشرق أثر فيه جمال الدين الافغاني مثل تأثيره في مصر فهو من اوائل العاملين على تطور الروح الوطنية في هذه البلاد ، فقد استطاع الرجل بخطبه الملهبة ان ينفث في النفوس نزوعا الى الخري ورغبة في العدالة .²

فوجد السيد عنحوري يروي عن جمال الدين فيما يقوله عن المصريين أنكم يامعشر المصريين وقد نشأتم في الإستعباد وريبتهم في حجر الاستبداد وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك ، وانتم تحملون عبئ ينير الفاتحين وتنزل بكم الخسف والذل وانتم صابرون بل راضون ، فلو كان في عروقكم دم فيه كريات حيوية ؛لما رضيتم بهذا الذل وهذه المسكنة .³

¹ - جمال الدين الافغاني ، مجلد عبده، العروة الوثقى ج 1 ، المصدر السابق ، ص 204 .

² - جمال الدين الافغاني ، مجلد عبده ، العروة الوثقى و الثورة التحريرية الكبرى ، المصدر السابق ، ص 28 .

³ - عمر الدسوقي ، في الادب الحديث ، ج 1 ، دط ، دار الفكر العربي للنشر ، دت ، ص 243 .

الافغاني من خلال سعيه هذا كان يريد ان يوقظ في نفوس هذه الامة أنهم لا يزالون تحت وطأة هؤلاء الطغاة الذين ذلّوهم وسلبوا حقوقهم فلا بد لكم من الاستيقاظ ومحاربة هؤلاء الفاسدين.

فلقد خطب الافغاني مرة من الاسكندرية قبل خلع الخديوي فقال : انت ايها الفلاح المسكين تنشق قلب الارض لتستنبت ماتسد به الرمح وتقوم بأود العيال ، فلماذا لاتشق قلب ظالمك ؟ لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون ثمرة اتعابك¹ . وبهذه العبارات والكلمات كان الافغاني يخاطب الشعب المصري فقد كان لكلامه هذا اثر عميق في ايقاظ وصحوة الناس وتوضيحههم بأن الحاكمين سلبوا حقوق المحكومين .

لهذا نجده يقول : هبو من غفلتكم ..أصبحوا من سكرتكم ... عيشوا كباقي الامم احرار سعداء ، وهذه هي كلمات تحمل روح جمال الدين الافغاني وتحضى على ثروة علنية للمصريين لما هاوي الذلة التي تردوا فيها المصريين وحثهم على استخلاص حقهم بالقوة من ظالمهم.²

ومن خلال ما عناه المصريين من استبداد المحكومين وسلبهم حقوقهم في هذه الحياة وجعلهم يعيشون الذل والمسكنة دعى جمال الدين المصريين بالأخذ بالنظام الشوري في الحكم حتى تشعر الامة ان مقدرتها بيدها وحتى

¹ جمال الدين الافغاني ، العروة الوثقى و الثورة التحريرية الكبرى، مُجّد عبده ،المصدر السابق ،ص 28-

² - عمر الدسوقي ، المرجع السابق ص 244

تأمن جانب الحكم وعبثهم بكنوزها وارزاقها بل مقاومتهم على استغلالها وحريتها وحتى لاتدع للاجانب حجة يتكؤون عليها ف اشرافهم على الحكومة وادارتها.¹

ويتحدث الافغاني عن أقوياء الرجال الذين اختارهم ليحكموا بلادهم فيقول: ذلك الرجل اما ان يكون موجودا او تأتي به الأمة، فتملكه على شط الامانة والخضوع لقانونها الاساسي، وتؤكد للحاكم أن التاجر سوف يبقى فوق رأسه مدام محافظا على صون الدستور.²

ويقول كذلك في هذا الصدد لمصر والدول الشرقية، إنها لانتحيا إلا ذا أتاح الله لكل من رجلا قويا عادلا لا يحكم بإرادة شعبه حكما لافردية فيه ولا بطش ولا جبروت لأن بالقوة المطلقة الاستبداد ولا عدل الامع القوة المقيدة.³

وهكذا كان الافغاني ينادي الدول الشرقية وخاصة مصر الاخذ بالنظام الشوري وتعيين حاكم تكون له القدرة على اعطاء الناس حقوقهم دون مراعاة مصالحهم اولا وان يحكم هؤلاء الناس دون جبروت لان بالاستبداد ينعدم العدل بين الناس وهذا ما حاول الافغاني اصلاحه في هذه البلاد .

الافغاني كان مثله الاعلى حكومة اسلامية واحدة، تأتم بالإسلام وتعاليمه ولما رأى انه ليس في الامكان خضوعها لأمير واحد اكتفى بالدعوة الى ان ترتبط اجزاؤها بروابط محكمة، ويكون لها مقصد واحد تحكم الاقطار كلها بحكومات أمامها القرآن واساسها العدل والشورى واختيار خير الناس لتولي الامور.⁴

¹ عمر الدسوقي، المرجع السابق، ص 246

² جمال الدين الافغاني، محمد عبده، العروة الوثقى و الثورة التحريرية الكبرى، المصدر السابق، ص 20 -

³ - المصدر السابق، ص 20

⁴ - احمد امين، المرجع السابق، ص 84

المبحث الثالث: رفض تقليد الغرب

إن من يريد النهوض والتقدم في شتى المجالات مثله كمثل من يريد تجديد البناء، لا بد له من البدء في تنظيف الساحة من المخلفات ومن المعوقات قبل أن يضع اساسات البناء الجديد، ولا بد له من التخلص من الجمود والتقليد كمقدمة للتطور والابداع والتجديد.

نجد الأفغاني من بين المصلحين السياسيين الذين أرادوا إصلاح هذه الأمة الاسلامية، فقد رفض الأفغاني تقليد الغرب سواء كان هذا التقليد تقليدا للسلف وجمودا على تراثهم لأن سلفية الجمود على ظواهر النصوص، كما يقول الامام محمد عبده وأصبح وأخرج صدرا من المقلدين، وهي ان أنكرت كثيرا من البدع فهي ترى وجوب الاخذ بما فيه من لفظ الوارد والتقييد به دون الالتفات الى ماتقاضيه الأصول، التي قام عليها الدين وإن المقلدين لتمدن الأمم كما يقول الأفغاني ليسوا أرباب تلك العلوم التي ينقلوها، والتمدن الغربي هو في الحقيقة تمدن للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانساني.¹

وهكذا نجد الأفغاني يرفض وينقد الجمود والتقليد لأنه يعطل ملكات التعقل التي انعم الله بها الانسان والتي ميزه كخليفة الله سبحانه وتعالى عن سائر المخلوقات.

لقد رفض الأفغاني تقليد الغرب في مختلف نواحي الحياة دون ضرورة وبلا تمحيص وامعان قال: علمتنا التجارب ونطقنا مواطن الحوادث بأن المقلدين من كل امة المنتحلين اطوار غيرها ما يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء اليها، وتكون مداركهم مهابط الوسواس ومخازن الدسائس، ويصير أولئك المقلدون طلائع الجيوش الغافلين.²

فتقليد الحضارة الغربية وافكارهم يخلق حسب الافغاني عملاء لا علماء فهؤلاء المقلدون حسب الافغاني لا يمكنهم ان يفيدوا حضارتهم بشيء من الاشياء او بثمره من الثمرات لانهم أصبحوا في ايدي مقلديهم ولأنهم غفلوا عما هم فيه.

إن أي تطور وتقدم ونهوض حسب الافغاني لا بد ان يحطم قيود الجمود واغلال التقليد، ليفجر في هذه الامة طاقات الابداع والابتكار النابع من فقه الواقع، فالتقليد حسب الافغاني يقتل كل شيء في الانسان بما أنه اتباع للغير معتقدا الحقيقة فيه من غير نظرة وتأمل في الدليل فيكون المتبع جعل قول الغير قلادة في عنقه.

¹ - محمد عمارة، المرجع السابق، ص 79

² - علي المحافظة، المرجع السابق، ص 75-76

الخلاصة :

من خلال تطرقي لموضوع النهضة في الفكر العربي الحديث جمال الدين الافغاني أتمودجا خرجت جملة من النتائج

تتمثل في:

- ان النهضة تمثل نقطة وهاجة في حضارة الانسان ، وفترة مليئة بالدروس والعبر والانجازات الرائعة .

- النهضة العربية الحديثة من اهم ما تطرق اليها جمال الدين الافغاني في حياته ، فقد قام بعدة اصلاحات غيرت

حال الامة مما كانت فيه، من جمود فكري وانحطاط وذل وهوان.

-ارجع الافغاني سبب انحطاط المسلمين الى ابتعادهم عن تعاليم دينهم ،فقام بإصلاح ديني بين فيه دور الاسلام

على الامة ،في مشروعه هذا دعى الامة بالالتزام بمبادئ الاسلام والتمسك بما ينصه من تعاليم ،فهو سبب نجاة

الامة وبه فلاحها وسر سعادتها وهو اساس الرقي والتقدم.

-دافع عن الاسلام ضد مطاعن الدهريين وبين خصاله ،كما دافع عنه ضد اتهامات رينان ،هدفه من خلال هذا

هو اعادة بناء الواقع العربي وذلك من اجل تحقيق مطلب توعية الفرد باعتباره عضوا في مجتمعه له خصوصيته

،وثانيا بإفحاض الامة من جمودها ومن وطأة الاستعمار.

-كما ان من نتائج اصلاحه السياسي هو ان دافع عن الاسلام كدين محض .

- اما مشروعه الاصلاحى السياسى فلقد اثمر العديد من النتائج فلقد اكتشف الافغانى ان سبب تدهور حال الامة انم يعود الى التفرقة بين المسلمين ،اول ما قام به فى اصلاحه السياسى هو نبذ الاختلافات بينهم وتوعيتهم بان سر نجاحهم يكون لم شملهم وازالة كل الفوارق.

-قام بتحرير ارادة الامة الفردية من كل ظلم واستبداد من قبل الحكام الطاغين الذين سلبوا حقوق المحكومين ، كما عمل على تحرير الفكر من قيود التقليد لان الفرد يصبح من خلالها عميلا لا عاملا .

- كما ان لثقافة الافغانى الاسلامية الغربية والتجربة السياسية التى عاشها فى عدة اقطار اثرها الواضح فى التجديد الدينى والاصلاح السياسى والاجتماعى ويبرز ذلك فى تحليله اسباب تدهور الحضارة الاسلامية والضعف السياسى والانحلال الاجتماعى الذى يعانىه المسلمون.

-الأفغانى رغم مجيئه فى مرحلة حرجة من تاريخ الامة الاسلامية الا انه افاد المسلمين من خلال اصلاحاته فلقد وجد نفسه امام حالة مزرية للامة الاسلامية فكريا واقتصاديا وسياسيا و اجتماعيا فبذل جهده قدر استطاعته فى كل ميدان من هذه الميادين ،ويكفيه شرفا انه مطلق الشارة الاولى فى يقظة الامة وصحوتها.

-وهكذا يعتبر الافغانى من الصلحين الأوائل الذين كرسو معظم حياتهم لحل كل معضلات الامة فقد خدم هذه الامة من اجل سعادتها وتطورها والتحاقها بالأمم الاخرى ،وتبقى النهضة موضوع واسع البحث ويحتاج الى بحث وتحليل اكثر.

قائمة المصادر قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر :

- (1) القرآن الكريم .
- (2) جمال الدين الافغاني ،الرد على الدهريين ،نقلها من الفارسية الى العربية صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ مُجَّد عبده،ط3،مطبعة الموسوعات،مصر .
- (3) جمال الدين الافغاني ،الشيخ مُجَّد عبده ،الاثار الكاملة -رسائل في الفلسفة و العرفان ،جزء2-3،تقديم السيد هادي خسروشاهي،ط1،مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة ،2002
- (4) جمال الدين الافغاني ،القضاء و القدر ،دط،المطبعة المحمدية التجارية ،مصر ،دت .
- (5) جمال الدين الافغاني ،سلسلة الاعمال المجهولة ،تحقيق الدكتور علي شلش ،دط ،دت .
- (6) جمال الدين الافغاني ،مُجَّد عبده ،الاثار الكاملة ،ج1،العروة الوثقى ،ط1،مكتبة الشروق الدولية 2002،
- (7) جمال الدين الافغاني ،مُجَّد عبده ،العروى الوثقى ،دط،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ،القاهرة 2012،

قائمة المراجع :

- (1) احمد امين ، زعماء الاصلاح في العصر الحديث،(دط)، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،دت .
- (2) احمد برقاب ،محاولة في قراءة عصر النهضة ،ط2،الاهاي للطباعة و النشر و التوزيع ،دمشق 1999،
- (3) ارنيس رينان ،ابن رشد و الرشدية،نقله الى العربية عادل زعيتر ،دط،القاهرة ،1957.
- (4) ايوب ابودية،علماء النهضة الاوروبية،ط1،دار الفرابي للنشر ،لبنان .
- (5) البرت حوراني،الفكر العربي في عصر النهضة،ترجمة: كريم عزقول،ط4،دار النهار للنشر،بيروت ،دت .
- (6) جاسم سلطان ،النهضة من الصحوة الى اليقظة ،(دط)، سلسلة ادوات القادة ،دت .
- (7) جفري برون،تاريخ اوروبا الحديث ،ترجمة على المرزوقي ،د ط ،الاهلية للنشر و التوزيع ،عمان،دت
- (8) زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة لجة التأليف و النشر، 1355 -1936.
- (9) سلامة موسى، ماهية النهضة،(دط)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،رعاية،1987.
- (10) شوقي عطا الله الجميل، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ،تاريخ اوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، (دط)، المكتبة المصرية لتوزيع المطبوعات ،القاهرة 2000.

- 11) صلاح زكي احمد، اعلام النهضة العربية الاسلامية في العصر الحديث ،ط1، مركز الحضارة العربية ،القاهرة، 2001.
- 12) عبد العزيز سليمان نوار ،محمود مُجد جمال الدين ،التاريخ الاوروي الحديث، (دط)، دار الفكر العربي ،القاهرة ،1999.
- 13) عبدالقادر المغربي، جمال الدين الافغاني ذكريات و احاديث، ط3، دار المعارف للنشر و التوزيع ،بيروت ،دت، سلسلة اقرء، القاهرة ،
- 14) عزت قرني ،العدالة و الحرية في فجر النهضة العربية ،سلسلة كتب عالم المعرفة ،الكويت ،عدد30، جوان 1980.
- 15) علي المحافظة ،الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ،دط ،الاهلية للنشر و التوزيع ،بيروت ،1987.
- 16) علي عزت بيجوفيتش ،عوائق النهضة الاسلامية ،سلسلة مقالات ،ترجمة عمر سباهيتش ،ط1، جمعية قطر الخيرية للنشر،الدوحة ،1996.
- 17) عمر الدسوقي ،في الادب الحديث ،ج1، دط، دار الفكر العربي للنشر ،دت.
- 18) فريال حسن خليفة ،اهمية العقل -الاصلاح الديني و التواصل الحضاري ،دط، مصر، العربية للنشر و التوزيع، القاهرة ،2000.
- 19) كمال مظاهر احمد، النهضة، (دط)، منشورات وزارة الثقافة و الفنون، العراق ،1979.
- 20) لويس عوض، ثورة الفكر في عصر النهضة الاوروبية ، ط 1، مركز الاهرام للترجمة و النشر ، القاهرة 1987.
- 21) مجد الدين مُجد بن يعقوب الفيروز ابادي، قاموس المحيط، اشرف مُجد نعيم العرقسوسي ،ط8، لبنان 2005.
- 22) مُجد عابد الجابري ،الخطاب العربي المعاصر، ط 5، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- 23) مُجد عمارة ،جمال الدين الافغاني، موقف الشرق و فيلسوف الاسلام، ط2، دار الشروق، 1988.
- 24) مُجد عمارة ،مستقبلنا بين التجديد الاسلامي و الحداثة العربية ،ط1، مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة، 2003.
- 25) مُجد عمارة جمال الدين الافغاني ، موقف الشرق و فيلسوف الاسلام ، ط 2، دار الشروق للنشر و التوزيع ،1988.
- 26) مُجد اقبال ،تجديد التفكير الديني في الاسلام ،ترجمة عباس محمود ،ط2، دار الداية للطباعة و النشر و التوزيع ،2000.
- 27) مسعود ظاهر ،النهضة العربية و النهضة اليابانية ،سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، عدد252، ديسمبر 1999.

- 28) ممعن زيادة ،معالم عن طريق تحديث الفكر العربي ،سلسلة كتب عالم المعرفة ،الكويت،عدد115،جويلية1987.
- 29) نبيل عبد الجبار ،المشاريع الوجدوية ،مكانة العقل في الفكر العربي ،ط2،مركز دراسة الوحدة العربية ،1998.
- 30) نعيم اليافي ،حركة الاصلاح الديني في عصر النهضة ،ط1،مركز الانماء الحضاري ،حلب،2000.
- 31) يحيى هويدي، قصة الفلسفة الغربية، (دط)، دار الثقافة للنشر و التوزيع ،القاهرة ،1993.

القواميس:

- 1) ابن منظور، لسان العرب، (دط)، دار المعارف ،القاهرة ،دت،ص.
- 2) ابي الحسن احمد بن فارس بن زكريا، تحقيق ،عبد السلام مُجَّد هارون ،دط، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ،دت.

المجلات و الدوريات :

- 1) الاسلام اليوم ،مجلة دورية ،المنظمة الاسلامية للتربية و العلوم و الثقافة .
- 2) صمد كاظم وسمي ، النهضة الاوروبية وقضية الحرية ،إصدار عن منتديات ليل الغربية ،نيسان2009.

المواقع الالكترونية :

- 3) لمحة ادبية عن بداية النهضة في العصر الحديث ،جميع الحقوق محفوظة،
<http://www.onfd.edu.dz>.

فهرس الموضوعات

- شكر و عرفان

- الاهداء

- مقدمة

05.....	الفصل الاول: تطور مفهوم النهضة في الفكر الغربي و العربي الحديث
06.....	تمهيد :
07.....	المبحث الاول: مفهوم النهضة لغة و اصطلاح
09.....	المبحث الثاني: مفهوم النهضة في الفكر الغربي
24	المبحث الثالث: مفهوم النهضة في الفكر العربي
32.....	الفصل الثاني: الاصلاح الديني لجمال الدين الافغاني
33.....	تمهيد :
34.....	المبحث الاول: الالتزام بمبادئ الاسلام و الاقتداء بسلف الامة
46.....	المبحث الثاني: التوفيق بين العلم و الايمان
52.....	الفصل الثالث: الاصلاح السياسي لجمال الدين الافغاني
53	تمهيد.....
54.....	المبحث الاول: توحيد الامة الاسلامية و دعوته للجامعة الاسلامية
62.....	المبحث الثاني: تحرير ارادة الامة من الاستبداد
67	المبحث الثالث: رفض تقليد الغرب.....
69.....	الخاتمة:.....
71.....	قائمة المصادر و المراجع
74.....	فهرس الموضوعات